دور الأمثال في عرض العقيدة الإسلامية والاحتجاج لها

د. جميل عبيد القرارعة
قسم الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

ملخص البحث :

من الصور التي تُظهِر جمال الأسلوب القرآني ودقته في تصوير المعاني لتقريبها وتجليتها وإيضاحها، أو الاستدلال عليها أو لغير ذلك من الأغراض هي طريقة ضرب الأمثال، فقد حفل القرآن باستخدام الأمثال والتشبيهات كثيراً. وهذا البحث يعنى ببيان دور الأمثال في إيضاح معاني العقيدة الإسلامية، وفي الاحتجاج والبرهنة على صحة هذه المعاني، وفي إبطال شُبه المنكرين لها، كما يشير إلى منهج القرآن والسنة في توظيف هذه الأمثال في الأغراض العقدية، وموضحاً عمق تجلي مزايا الأمثال المضروبة في القرآن والسنة ، وهي تقرب حقائق العقيدة إلى الأذهان أو تحتج لها. ودراستنا هذه ترمي إلى تجلية دور الأمثال ووظيفتها وأغراضها ومزاياها فيما تهدف إليه هذه الأمثال من عرض العقيدة الإسلامية أو الاحتجاج لها عن طريق ضرب الأمثال وعرض النماذج الموضحة، وقد تتناول بعض الأمثال من القرآن والسنة والتي وردت في موضوعات تربوية لامتزاجها بالعقيدة الإسلامية وصلتها الوثيقة بها. وقد تكون بعض الدراسات السابقة قد أشارت إلى هذا الجانب، ولكنها إشارات عارضة أو مقتضبة جدا، مما يجعل الموضوع ما يزال مستحقاً للدراسة والبحث، خاصة مع ندرة الدراسات التي تعنى بأساليب وطرق تدريس العقيدة الإسلامية، فعسى أن يكون في هذه الدراسة سد لثغرة أو على الأقل تنبيه إلى تلك الثغرة لعلها تظفر بما تستحق من العناية والتأمل .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يمثل أسلوب عرض المعاني والأفكار وطريقة بسطها مسألة متممة لجمال وعمق هذه المعاني وشرفها، فإن طريقة أداء المعاني والمفاهيم وإبرازها وأسلوب إخراجها تضفي على المعاني ذاتها من الجمال والبهاء بقدر ما يتوفر لهذه الطريقة من قدرة ودقة في إيضاح هذه الحقائق وكشفها وتجليتها، ومن براعة في عرضها، أو تسبغ على تلك المعاني غمامة من الضباب والغبش، تفوت على المخاطب فهمها واستيعابها، فضلا عن تذوق جمالها وحلاوتها، وذلك إذا ما افتقدت تلك الدقة والبراعة.

ورحم الله عبدالقاهر الجرجاني، عندما شبه - فيما ينقله عن البلاغيين - الألفاظ في تزيينها للمعاني بالملابس والحلي والتحبير بالنسبة للجواري، فقال: (رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها، ويجعلون المعاني كالجواري والألفاظ كالمعارض لها وكالوشي المحبر واللباس الفاخر والكسوة الرائعة)[1] وهو - أي عبد القاهر- لا يريد باللفظ فيما سلف مجرد الصوت والنطق ، وإنما يريد به الصورة التي يتم بها عرض المعنى - كما أوضح ذلك في أكثر من مكان[2]- .

ولقد تميز القرآن الكريم بالجمع بين المعاني الجليلة والأساليب الراقية ، بما أضفى عليه صفة الإعجاز التي حيرت الفصحاء والبلغاء، وأذهلت أصحاب الألباب والحجى.

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ٢ : ٦٥ .وانظر: دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني : ١٧٨.

(٢) انظر المصدر السابق : ٣٠٥.

بيد أن من أبرز وجوه هذا الإعجاز تملك القرآن الكريم للقلوب وصنيعه في النفوس وتأثيره البالغ ، وما يجده أهل الفصاحة عند سماعه من اللذة والحلاوة ، وما يعتريهم من الروعة والمهابة ، أو من التأثر والاقتناع ، أو من الخوف والفرق ، مما تقشعر منه الجلود وتنزعج القلوب[1] ، فها هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يخرج عازماً على قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيسمع القرآن في لحظة غلبت عليه قبلها الرقة والرحمة وتوارى العناد والتعصب ، فإذا كفره يتبدل إيماناً وعداوته موالاة وبغضه للرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تفانيا في المحبة والفداء.

وهاهو الطفيل بن عمر - رضي الله عنه – يحشو آذانه بالكرسف إمعاناً في الإعراض عن الإسلام، ولكن وقع كلمات القرآن التي تسللت الى مسامعه يدحر الإصرار والصدود ويملأ قلبه بالنور والهداية.

يقول عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - مصوراً ما يجد في القرآن في الجمال واللذة والمتعة : لا يتفه ولا يتشان[2]، وإذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن"[3]

ولم يقتصر هذا التذوق لحلاوته على المؤمنين وحدهم، بل شمل البلغاء والفصحاء وأهل البيان حتى من الأعداء الغالين في الخصومة، مما يشهد به العديد من الحوادث وتنطق به شهادات كثيرة.

---

(١) انظر بيان إعجاز القرآن للخطابي : ٧٠.

(٢) لايتفه : أي لايفقد حلاوته ولذته. ولا يتشان : أي لايخلق على كثرة الرد.

(٣) دلائل الإعجاز : ٢٥١.

روى ابن إسحاق: أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً في قريش - أشار عليهم أن يأتي محمداً - صلى الله عليه وسلم - فيعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فيعطوه إياها ليكف عنهم، فرضوا ذلك، فلما جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرض عليه، كان جوابه - عليه السلام ـ أن قرأ عليه: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾[1] ...." ثم مضى - عليه السلام - يقرأ وقد ألقى عتبة يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع إلى رسول الله حتى انتهى إلى السجدة فسجد، ثم قال"قد سمعت أبا الوليد فأنت وذاك". فلما رجع عتبة إلى أصحابه لاحظوا عليه التغير، وقال بعضهم: "لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به"فلما سألوه كان فيما قاله لهم: "لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم"[2].

وها هو الوليد بن المغيرة يصارح قريشاً برأيه في القرآن - وهو صاحب الرأي فيهم - فيقول بعد أن زيّف كل أقوالهم وافترآتهم عنه: "والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته"[3]. وبرغم ما يكشف عنه جواب الوليد بن المغيرة من فساد نيته وخبث طويته بإشارته على قريش بعد قوله السابق أن يقولوا للناس عن

(١) سورة :فصلت١ - ٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في التفسير٢ : ٥٠٦ وقال :على شرط البخاري، ووافقه الذهبي في التلخيص٢ :٥٠٦ .

القرآن أنه سحر ، فإن هذا القول يشهد بما أوتي الرجل من قدرة فذة على تذوق أساليب البيان، فجاءت شهادته جلية واضحة قوية، قلما أن تجد من أوتي مثل هذه القدرة في التعبير عن عظمة بيان القرآن وجمال فصاحته، يزيد من عظمة هذه الشهادة أنها صدرت عن أشد أعداء القرآن وألد خصوم الإسلام.

إلى غير ذلك من الوقائع والمواقف الكثيرة التي تشهد بعظمة وقع القرآن في القلوب، ولعل ذلك وراء دعوة القرآن إلى إسماعه للناس﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[١].

على أن هذه الحلاوة وذلك التأثير والتأثر إنما هما فرع عن نجاعة الأسلوب القرآني في إيصال معانيه إلى القلوب، ودقة عرض هذه المعاني بما يؤدي إلى كشفها وإيضاحها، ويساعد على فهمها على أتم وجه، رغم عمق هذه المعاني وعلو شأنها، ويكفل لها ملامسة سائر مكامن التأثير والتفاعل في النفس الإنسانية، مما يترجم هذا السماع إلى ألوان من الحماسة والتحفز، ومن الحب أو الكره ومن الفرح أو الحزن، ومن الخوف والرجاء ومن الحياء والحلم ونحو ذلك من المشاعر.

ولا شك أن مرد النجاعة المذكورة إلى الصور البيانية التي تتجلى بها المعاني القرآنية في العقائد أو التشريعات، وإلى تنوع هذه الصور، وأنها بمثابة وسائل الإيضاح والتبيين.

ومن الصور التي تُظهر جمال الأسلوب القرآني ودقته في تصوير المعاني لتقريبها وتجليتها وإيضاحها، أو للاحتجاج لها والاستدلال عليها أو لغير ذلك من الأغراض هي طريقة ضرب الأمثال، فقد حفل القرآن باستخدام الأمثال

(١) سورة التوبة: ٦.

والتشبيهات كثيراً. وهذا البحث يعنى ببيان دور الأمثال في إيضاح جوانب ومعاني العقيدة الإسلامية، وفي الاحتجاج والبرهنة على صحة هذه المعاني وفي إبطال شُبه المنكرين لها، كما يشير إلى منهج القرآن والسنة في توظيف هذه الأمثال في الأغراض العقدية عارضاً العديد من هذه الأغراض، وموضحاً عمق تجلي مزايا الأمثال المضروبة في القرآن والسنة، وعظمة الخصائص والمزايا التي تنفرد بها أمثال القرآن والسنة وهي تقرب حقائق العقيدة إلى الأذهان أو تحتج لها.

وهدفي من ذلك أن ألمح إلى ما لأسلوب ضرب الأمثال من دور عظيم في الدعوة والتعليم والتربية والبيان بصفة عامة، وفي إيضاح وتقريب العقيدة الإسلامية بصفة خاصة، وذلك بغية سبر أغوار منهج ضرب الأمثال في القرآن والسنة ودور هذه الأمثال في غرس العقيدة بالدراسة والتحليل من أجل الاستفادة من ذلك المنهج، حتى وإن كان هذا البحث لا يعدو أن يكون بمثابة لفت الأنظار وجذب الانتباه من خلال عرض النماذج وتحليلها لتحقيق تلك الغاية.

وقد تناولت دراسات عديدة موضوع الأمثال والتشبيهات في القرآن والسنة في القديم والحديث، وانفرد الإمام الحافظ أبو عيسى الترمذي – رحمه الله – بتخصيص باب في جامعه للأمثال، أورد فيه خمسة عشر حديثا، ومن أهم الكتب التي عنيت بأمثال القرآن (الأمثال في القرآن) لابن القيم - رحمه الله- وبعض الدراسات المذكورة لم تتجاوز تفسير آيات الأمثال أو التشبيهات في القرآن وبيان معانيها من مثل كتاب"الجمان في تشبيهات القرآن"لابن ناقيا المتوفى ٤٨٥ هـ، وقد نشربتحقيق الدكتور مصطفى الجويني، ومنها"غاية البيان في أمثال القرآن"للأستاذ صابر أبو سليمان، جمع فيه آيات الأمثال وفسرها، ومن هذه الدراسات أيضاً كتاب الأستاذ أحمد بن محمد طاحون، (أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم)

أورد فيه كثيراً من آيات الأمثال وقام بتفسيرها وتحليلها واستنباط العبر والدروس منها.

ومن هذه الدراسات ما عنيت بإيراد الفوائد واللفتات التربوية مثل" ضرب الأمثال في القرآن: أهدافه التربوية وآثاره"للأستاذ عبدالمجيد البيانوني، ودراسة الدكتورة آمال أبو حسين بعنوان"بعض الأبعاد التربوية لعدد من الأمثال في القرآن الكريم"نشرتها جامعة أم القرى ونحوها"الأمثال القرآنية"للأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني تحدث فيها عن الأغراض العامة للأمثال في القرآن الكريم، وقام بتحليل وتصنيف عدد من أمثال القرآن، و"التربية بضرب الأمثال" للأستاذ عبد الرحمن النحلاوي، اعتنى أيضاً بتصنيف أمثال القرآن وتحدث عن أهم أهدافها وحلل بعضاً من آثارها التربوية. وغير ذلك من الدراسات التى تدور حول الأمثال في القرآن أو في السنة والتي لم تخرج عما ذكرنا.

ودراستنا هذه ترمي إلى تجلية دور الأمثال ووظيفتها وأغراضها ومزاياها فيما تهدف إليه هذه الأمثال من عرض العقيدة الإسلامية أو الاحتجاج لها عن طريق ضرب الأمثال وعرض النماذج الموضحة، وقد تتناول بعض الأمثال من القرآن والسنة والتي وردت في موضوعات تربوية لامتزاجها بالعقيدة الإسلامية وصلتها الوثيقة بها. وقد تكون بعض الدراسات السابقة قد أشارت إلى هذا الجانب، ولكنها إشارات عارضة أو مقتضبة جدا، مما يجعل الموضوع ما يزال مستحقاً للدراسة والبحث، خاصة مع ندرة الدراسات التي تعنى بأساليب وطرق تدريس العقيدة الإسلامية، فعسى أن يكون في هذه الدراسة سد لثغرة أو على الأقل تنبيه إلى تلك الثغرة لعلها تظفر بما تستحق من العناية والتأمل.وقد قسمت البحث إلى : مقدمة وخمسة مباحث هي على النحو التالي :

المبحث الأول : معنى المثل في اللغة وفي الاصطلاح .

المبحث الثاني : دور الأمثال في بيان معاني العقيدة والتعريف بها .

المبحث الثالث : الأغراض العقدية لضرب الأمثال في القرآن والسنة .

المبحث الرابع : مزايا عرض حقائق وأدلة العقيدة بأسلوب الأمثال على عرضها بالإلقاء المجرد.

المبحث الخامس : الخصائص المميزة لأمثال القرآن والسنة المبينة للحقائق الاعتقادية .

الخاتمة وتتضمن أبرز نتائج البحث .

والله ولي التوفيق .

* * *

المبحث الأول : معنى المثل في اللغة وفي الاصطلاح :

معنى المثل في اللغة:

تشير معاجم اللغة إلى دلالة كلمة "المثل" على معان عدة:

فهي بمعنى الشبه، (يقال هذا مِثْله ومَثَله كما يقال: شِبْهه و شَبَهه بمعنى واحد) [1]، وقد قال ابن فارس: (الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء وهذا مثل هذا أو نظيره والمَثَل والمِثْل بمعنى واحد) [2]وهي أيضاً بمعنى الصفة [3]كما في قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [4]، وبمعنى العبرة [5] كما في قوله: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [6]كما تأتي أيضاً بمعنى كلمة الآية [7] كما في قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [8].

وقال في اللسان: (المثل كلمة تسوية) غير أنه عاد ونقل عن ابن بري قوله: (الفرق بين المماثلة والمساوة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة مثل ١١ : ٦١٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة مثل ٥ : ٢٩٦ .

(٣) الصحاح للجوهري، مادة مثل ٥ : ١٨١٦ ، وقد رد ابن منظور في اللسان ١١ : ٦١٢ وغيره القول بمجيء المثل بمعنى الصفة.

(٤) سورة الفتح: ٢٩.

(٥). اللسان مادة مثل ١١ : ٦١٢.

(٦) سورة الزخرف: ٥٦.

(٧) اللسان مادة مثل ١١ : ٦١٢.

(٨) سورة الزخرف: ٥٩

في المتفقين تقول: نحوه كنحوه ولونه كلونه وفقهه كفقهه وطعمه كطعمه، فإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه سد مسده) [1] .

ويبدو ما بين هذه المعاني من نسب واضح وقدر مشترك يرجع إلى معنى التشابه والتناظر، فتمثيل شيء بشيء هو إخبار عن صفته أو صفاته، وتفسير كلمة "مثلا" بالعبرة في الآية "فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين": راجع إلى دلالة تشابة أحوال المعذبين مع أحوال الآخرين على استحقاقهم لما أصاب الأولين من العذاب. ولهذا فكلمة "مثل" تطلق على النموذج وعلى القياس، وذلك راجع إلى معنى التشابه. قال الأستاذ عبدالرحمن حبنكة: (ويطلق المثل في القرآن ويراد به ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع ، أو عمل من الأعمال ، أو سنة من السنن ، نظراً للتشابه الموجود بين أفراد النوع الواحد، أو نظراً إلى اطراد سنن الله وأعماله الحكيمة. ثم يأتي القياس المستند إلى مبدأ شمول الأحكام للمتماثلات الذي تقضي به أصول الحقائق، أو تقضي به حكمة الله) [2].

فدلالة كلمة"المثل"على هذه المعاني تستند إلى ملحظ التشابه بين الأمور الذي يترتب عليه أوصاف أو نتائج متماثلة.

تعريف المثل في الاصطلاح:

عُرِّف المثل في الاصطلاح بجملة عن التعريفات منها: (جملة من القول مقتطعة من الكلام، أو مرسلة بذاتها، تنقل عمن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير). [3]

ومنها: (قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي تشبه مضربه مورده)[4].

---

(١) اللسان ١١ : ٦١٣ وانظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي مادة مثل ٨ : ١١٠.

(٢) الأمثال القرآنية، عبدالرحمن حبنكة : ١١.

(٣) المعجم الوسيط مادة مثل ٢ : ٨٥٤.

(٤)مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان: ٢٨٢.

وعرَّفه الراغب الأصفهاني بقوله: (عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر، بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره).[1]

وعرَّفه ابن القيم: (تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر).[2]

فالتعريف الاصطلاحي للمثل كما تشير- كافة التعريفات السابقة- يستند إلى ما يدل عليه المعنى اللغوي من المشابهه، لكنه يتمثل في ألفاظ موجزة ومحددة من تغيير.

وقد صُدِّرت الأمثال في القرآن في مواطن عديدة بلفظ ضرب أو مشتقاته، قال الراغب الأصفهاني: (والضرب إيقاع شيء على شيء)[3]، وقيده الزبيدي بالإيقاع بشدة[4].وضرب المثل : ذكره. واختلف في مأخذه، فقيل: هو من ضرب الدرهم أي صوغه لإيقاع المطارق به، وإنما سمي المثل به لتأثيره في النفوس[5]، ولأنه ذكر شيء أثره يظهر في غيره[6]. وقيل: هو من الضريب أي المثيل، أو من ضرب الخاتم ونحوه، لأن التطبيق واقع بين المثل ومضربه، كما في الخاتم على الطابع[7].

وهذه الوجوه في معنى الضرب كلها منطبقة على إيراد الأمثال .

---

(١)المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٤٦٢ .

(٢) أعلام الموقعين لابن القيم ١ : ١٥٠ ،الأمثال في القرآن الكريم لابن القيم : ١٧٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن، طبعة البابي الحلبي: ٢٩٥ .

(٤) تاج العروس، مادة ضرب ١ : ٣٤٧ .

(٥) تاج العروس، مادة ضرب ١: ٣٤٧.

(٦) المفردات في غريب القرآن، طبعة البابي الحلبي : ٢٩٥ .

(٧) تاج العروس ، مادة ضرب ١: ٣٤٧، وانظر: المفردات في غريب القرآن، طبعة البابي الحلبي : ٢٩٥، والتربية بضرب الأمثال: ١٦ .

المبحث الثاني : دور الأمثال في بيان معاني العقيدة والتعريف بها :

العقيدة هي أساس الدين، وهي محور شخصية الإنسان، ومنبع أخلاقه وتصرفاته، ومَعِين قيمه وموازينه، ولا تعدو حياة الإنسان أن تكون انعكاساً لهذه العقيدة، فزكاة النفس وصلاحها من صلاح اعتقادها وسلامة فكرها وما تطوى داخلها من قناعات، كما أن فسادها وانحرافها هو من فساد اعتقادها واعتلاله، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- :"إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".[1]

ولهذا يشرف الإنسان ويعظم ويسمو بسمو وعظمة عقيدته، أو ينحط ويتخبط بتهافت اعتقاده، وصدق الله ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[2].

ولكن لابد لتفعيل هذه العقيدة من استيعاب معانيها وفقهها وفهمها، وذلك مقتضى العلم بها، فكمال الإنسان وسعادته إنما هما بالعلم النافع والعمل الصالح، غير أن جُلَّ موضوعات العقيدة تتعلق بعالم الغيب الذي يخرج عن حدود الإدراك الحسي للإنسان في هذه الحياة الدنيا، وإن كان سيصبح ضمن سمع الإنسان وبصره وإحساسه بعد هذه الحياة الدنيا، بل قد يُرى أو يُحس من قِبل بعض الناس في هذه الحياة الدنيا لحكمة يشاؤها الله سبحانه كرؤية الرسل - عليهم السلام - أو غيرهم للملائكة أو الجن.

على أن الحقائق في الرؤية الإسلامية تشمل عالم الشهادة وعالم الغيب معاً، وأنه من المهم جداً، بل من الضروري للإنسان التعرف على العالمين معاً، أما عالم

---

(١) رواه البخاري في الإيمان ١٢٦ : ١ ومسلم في المساقاة ٣ : ١٢١٩

(٢) سورة الملك ٢٢.

الشهادة فلأنه العالم الذي يحيا فيه الإنسان، وقد كُلف بوظيفة الخلافة فيه واستعمار الأرض واستثمارها وفقه منهاج الله سبحانه، فلا بد من التعرف على هذا العالم. وأما عالم الغيب فلأن الإنسان ماض إليه فهو مصيره، وهو المحطة القادمة لسيره. كما أن إدراك العالم المذكور حاجة فطرية في الإنسان، وإنكاره أو الإعراض عنه يمثل إلحاداً في الدين وضيقاً في الأفق وفساداً في التفكير، بل ونقصاً في العقل. فلا بد من التعرف عليه.

بيد أن وسائل الإنسان إلى هذه المعرفة متنوعة ومختلفة حسب موضوع المعرفة وميدانها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (طرق العلم ثلاث: أحدها الحس الباطن والظاهر، وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها. والثاني الاعتبار بالنظر والقياس، وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس، فما أفاده الحس معيناً يفيده العلم والقياس كلياً......فإن الكليات إنما تعلم بالعقل، كما أن المعينات تُعلم بالإحساس. والثالث الخبر، وهو يتناول الكليات والمعينات والشاهد والغائب، فهو أعم وأشمل لكن الحس والعيان أتم وأكمل)[1].

ولهذا حذر الإسلام من تعطيل وظيفة الحواس في إبصار آيات الله وسماع بيناته، لما في ذلك من تفويت الغاية من هذه النعمة، وأمر بالنظر وإعمال السمع والبصر ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[2] ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[3].

فالإسلام يحرص ويحرِّض على أداء هذه المنافذ الفطرية للمعرفة من السمع والبصر ونحوها من الحواس للدور المنوط بها، ويحفل بهذا الدور ويشيد به لما له

(١) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧ : ٣٢٤.

(٢) سورة الأنفال : ٢١.

(٣) سورة عبس : ٢٤.

من أهمية، فلا يسد مسدها مصدر آخر، من غير أن يغفل ما يعتريها من القصور والمحدودية، وكون منافذ المعرفة ووسائلها غير منحصرة فيها.

كما دعا الإسلام إلى إعمال العقل بالنظر والتدبر والتفكر واستخلاص العبر واستنتاج الحقائق واعتماد الحجج والبراهين، وطريقة القرآن تكثر فيها تعابير مثل ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾(٢) ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾(٣) ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٤) ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(٥)وغيرها كثير مما تغني شهرته عن التوسع في ذكر أمثلته.

وقد شبه ابن تيمية - رحمه الله – الحواس مع العقل بالحجبة مع الملك.

وأما الخبر الصادق فإنه إنما يفيد المعرفة مع الحس أو العقل (فإن المخبر عنه إن كان قد شوهد كان قد علم بالحس، وإن لم يكن شوهد فلا بد أن يكون قد شوهد ما يشبهه من بعض الوجوه، وإلا لم يعلم بالخبر شيء، فلا يفيد الخبر إلا بعد الحس والعقل، فكما أن العقل بعد الحس، فالخبر بعد العقل والحس).(٦)

ولما كان عالم الغيب لا يقع تحت الحواس، ولا يخضع للوسائل والتجارب المادية، فإن طريق العلم به إنما يكون بالخبر الصحيح عن الله ورسوله، والعقل وإن كان يصل إلى مبدأ وجود عالم الغيب، لكن تفاصيل هذا العالم تند عن

---

(١) سُور: يونس: ٢٤، الرعد: ٣، النحل: ١١، ٦٩، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣

(٢) سورة السجدة: ٢٧.

(٣) سورة النساء: ٨٢، سورة محمد ٢٤.

(٤) سور: البقرة: ٢٣٠، الأنعام: ٩٧، ١٠٥، الأعراف: ٣٢، التوبة: ١١، يونس: ٥، النمل: ٥٢، فصلت: ٣.

(٥) سور: البقرة: ١٠٢، ١٠٣، النحل: ٤١، العنكبوت: ٤١، ٦٤، سبأ: ١٤، الزمر: ٢٦، القلم ٣٣.

(٦) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، د. جمعة ضميرية: ٣٦.

العقل ولا تنال إلا بالوحي ، ومن خلال ما أشرنا إليه من العلاقة بين الحس والعقل والخبر باعتبارها مصادر للمعرفة ، وما بينها من تكامل، ومن أن العقل والخبر إنما يكونان بعد الحس ، من خلال ذلك يتضح منهج الإسلام في توظيف الأمثال والتشبيهات لتؤدي دورها في تفهيم الإنسان وتبصيره حقائق عالم الغيب باعتبارها - أي الأمثال - الوسيلة والقنطرة التي تربط إدراك الإنسان المستند إلى تصورات معتمدة على الحس - إذ لا تصل الحواس إلى غير المحسوسات- وبين ألفاظ تدل على معان غيبية لم يسبق للإنسان الوقوف عليها، بل جاءت النصوص الصحيحة بالتنبيه إلى اختلاف عالم الغيب عن عالم الشهادة ، كما في الحديث القدسي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : قال الله تعالى: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

ويوظف الإسلام ما يعرفه الإنسان من معان للألفاظ والتراكيب كان للحس دوره في تحصيلها، ليقرب له عالم الغيب بما يساعد على فهمه، وذلك عن طريق الأمثال، وبطريقة القرآن والسنة التي تتجلى فيها الروعة والسمو والدقة بما يُحمّل المثل بالمعاني والإيحاءات والظلال التي تكفل نقل المعاني بأوجز طريق وأخصره، وذلك مع إعلام المخاطب - كما أشرنا قريباً - إلى أن جانب التشابه في ضرب المثل لا ينافي وجود الفارق بين ما في عالم الغيب وما في عالم الشهادة، مما ينبغي

(١) سورة السجدة :١٧. والحديث رواه البخاري في بدأ الخلق ٦ : ٣١٥، وفي التفسير ٨ : ٥١٥، وفي التوحيد ١٣ : ٤٦٥، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها٤ : ٢١٧٤، والترمذي في التفسير٥ : ٣٤٦، وابن ماجه في الزهد ٢ : ١٤٤٧، وأحمد ٢ : ٣١٣.

للمؤمن أن يستصحبه دائما في ذهنه، وهو يتلقى عالم الغيب ويفهم النصوص التي وردت فيه.

وبهذا تؤدي الأمثال دورها ووظيفتها في تقريب الإيمان بالغيب لإدراك الإنسان وعلمه: فهماً من غير أن تلغي الفارق بينه وبين عالم الحس، واستدلالا من غير أن يكون لهذا الاختلاف بين العالمين تأثير على صحة الاستدلال، إذ يعتمد الاستدلال على جانب الاتفاق فحسب، وهو القدر المشترك بين المشبه والمشبه به، وهذا القدر المشترك على أي حال لا يوجد مميزاً منفصلا من الخارج، إنما وجوده في الذهن فحسب، فإن فهم معاني الألفاظ يستند إلى معانيها في الذهن، وإن كانت في الواقع تتمايز وتختلف من غير أن ينافى هذا التمايز والاختلاف بين الأفراد ما بينها من قاسم مشترك يوجد في الذهن، دون أن يبرز منفصلا في خارج الذهن وفي الواقع ، إذ كل ما هو موجود في الواقع معين، وبهذا نتمكن من فهم ما ورد في وصف الجنة وما فيها من ألوان النعيم كاللحم واللبن والعسل والفاكهة والماء والظل والنساء وغير ذلك استناداً إلى معاني الألفاظ المركوزة في الأذهان، وإن كنا نعلم أنها ليست كالموجود منها في عالم الشهادة، ومثل ذلك فيما جاء في أوصاف النار. وتجدر الإشارة إلى أهمية استصحاب هذا الأمر دائماً، فلا ينبغي أن يغيب عن بالنا ونحن نفهم هذه الأمثال، أو نستخدمها كوسائل لتسهيل التعليم وتيسيره ولبيان معاني العقيدة، لا يغيب عن بالنا التنبه والتنبيه على أن جانب الاتفاق في ضرب المثل الذي هو موضوع الشاهد لا يعني الانطباق التام، وإلا ما كان الأمران مثلين، بل يكونا أمراً واحداً، وحتى لو كنا نستخدم المثل لوصف أو إيضاح أمر من أمور عالم الشهادة بقرنه بما يشبهه ويوضحة من الأمورالحسية، فإن اتفاق الأمرين في جانب أو جوانب لا يعني التساوي التام من جميع الوجوه.

على أن ما تتصف به الأمثال من المزايا والخصائص تسهم كثيراً في قدرتها على القيام بهذه الوظيفة في الربط بين المدركات الحسية وحقائق العقيدة الإسلامية وفي الاتساع للمعاني الاعتقادية مع ما عليه هذه المعاني من الدقة والجمال، وبما لها من خصائص الوضوح والسهولة والبعد عن التعقيد والجفاف، والتوافق مع الفطرة الإنسانية، ومن استنادها إلى براهين فطرية وعقلية واضحة، ومن قدرتها على التفاعل مع كافة أبعاد وجوانب النفس الإنسانية. وهي مزايا تفتقر إليها الأساليب الفلسفية والمناهج الكلامية التي تشوه جمال العقيدة الإسلامية، وتبدل وضوحها وسهولتها تعقيداً وغموضاً، وتحصر مساربها إلى داخل النفس الإنسانية في الجانب الفكري وحده.

فإذا ما أدركنا ما لأمثال القرآن والسنة من المزايا والخصائص الذاتية - والتي سيأتي الحديث عنها- اتضح لنا المزيد عن دور هذه الأمثال في تجلية حقائق العقيدة وبيانها، وعن جدارتها - أي الأمثال المذكورة - بالقيام بهذه الوظيفة.

ولهذا يُؤكد القرآن الكريم على الربط بين التفكر والتذكر والفقه والعلم من جهة وبين الأمثال من جهة آخرى، وذلك لما تحفل به هذه الأمثال من الأدلة والبراهين وما تحويه من الحقائق والمعارف. وقد أخبر الله سبحانه بأن ضرب الأمثال سنته في الأمم فقال سبحانه - بعد ما قصه من تكذيب لرسل الله على أيدي الأمم السابقة- :﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾[1]. ولا يزال العلماء والباحثون يتحدثون عن مزايا الأمثال واختصاصها بأوصاف لا تتوفر في غيرها من ألوان التعبير مما يضاعف من تأثيرها ويزيد من جمالها، قال أبو عبيد

(١) سورة الفرقان : ٣٩.

القاسم بن سلام: (يجتمع في المثل ثلاث خلال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه)[1]، وقال ابن النظام: (يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة)[2].

وقد أخبر سبحانه بالحكمة من إيراد الأمثال فقال :﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[3] ، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] فتضمنت الآيات الإخبار بأن حكمة ضرب الأمثال هي التذكر والتفكر وأنه إنما يفقهها أصحاب العقل والعلم. قال ابن القيم - رحمه الله- عن التذكر والتفكر: (والتّذكر والتفكر منزلان يثمران أنواع المعارف وحقائق الإيمان والإحسان. والعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره، وبتذكره على تفكره، حتى يُفتَح قفل قلبه بإذن الفتاح العليم. قال الحسن البصري: ما يزال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت)[5]وقال أيضاً: (والتذكر تفعُّل من الذكر، فهو ضد النسيان. وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب. واختير له بناء التفعُّل لحصوله بعد مهلة وتدرج كالتبصر والتفهم والتعلم. فمنزلة التفكر من التعلم منزلة حصول الشيء

(١) مقدمة كتاب "الأمثال"، القاسم بن سلام

(٢) مجمع الأمثال، الميداني ١ : ١٤.

(٣) سورة إبراهيم : ٢٥.

(٤) سورة الحشر : ٢١.

(٥) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ١ : ٤٤١.

المطلوب بعد التفتيش عليه)[١]وهذا النص يشير إلى دور كل من التذكر والتفكر - وهما غاية ضرب الأمثال- في معرفة الحق وانفتاح القلب له. ولهذا أخبر سبحانه عمن يفقه هذه الأمثال وينتفع بما فيها فقال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٢]، قال ابن كثير في تفسير الآية:(وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه)[٣].

قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه- : (عقلت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ألف مثل)[٤]وقد علّق ابن كثير على ذلك بقوله:(هذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص - رضي الله عنه- حيث يقول الله " ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ "[٥].

وللتفكر والتذكر شأن عظيم في الإيمان بالله وتقديره حق قدره وفي الإخبات إليه ، وهل كانت آيات الله إلا استثارة للفكر وبعثا للتفكير ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٦] ؟! وكذلك كانت القصص ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٧] كما كانت آيات الله المتلوة والمشهودة ذكرى للمنيبين وكذلك قصص القرآن ذكرى لأولي الألباب.

وتدور جُلّ أمثال القرآن والسنة على تجلية وتقريب المعاني العقدية، وعلى

---

(١) المصدر السابق ١ : ٤٤١.

(٢) سورة العنكبوت ٤٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ : ٤١٤.

(٤) رواه أحمد ٤ :٢٠٣ ،وقال الهيثمي في مجمع الزائد٨ :٢٦٤ (إسناده حسن) .

(٥) تفسير ابن كثير ٣ : ٤١٤.

(٦) سورة يونس : ٢٤.

(٧) سورة الأعراف : ١٧٦.

الاحتجاج لها بما يبطل شبهات المشككين، ويدحض افتراءات المغرضين، وقد شملت هذه الأمثال تقرير وحدانية الله ونفي استحقاق غيره للعبادة بتزييف عبادة الأنداد لهوانهم وعجزهم، وفضح سوء صنيع المشركين في آيات كثيرة مثل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١].

قال مجاهد عن المثل الأول هو (مثل مضروب للوثن والحق هل يستوي هذا وهذا؟! ولما كان الفرق بينهما واضحاً بيناً لا يجهله إلا كل غبي، قال الله: "﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾"، وقال عن المثل الثاني: (المراد به الوثن والحق تعالى، يعني الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا شيء ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال، وهو مع هذا كلٌّ أي عيال على مولاه أينما يوجهه أي يبعثه لا يأت بخير ولا ينجح مسعاه، هل يستوي من هذه صفات ومن يأمر بالعدل فمقاله حق وفعاله مستقيمة؟!)[٢]. وعلق ابن القيم – رحمه الله – على المثلين السالفين بقوله : (هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه، فإن القياس نوعان : قياس طرد يقتضي إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه، وقياس عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه)[٣] ثم شرع في تفصيل ما في المثلين من دلالة عقلية على التوحيد .

(١) سورة النحل : ٧٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ : ٥

(٣) الأمثال في القرآن : ٢٠٤ .

وتضمنت الأمثال المذكورة التعريف بصفات الله بتوضيح المعنى وتقريبه، ومن ذلك أيضاً: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١]. ومنه أيضاً الإخبار بعظمة وكثرة كلمات الله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[٢].

وتخبر الأمثال عن خطورة الشرك بالله وما يورث صاحبه من السقوط، في صورة مروعة، تزلزل النفس إن هي تأملت المثل وتدبرته ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[٣]. وتناقش أهل الكتاب فيما عندهم من شبه تأليه عيسى - عليه السلام – من خلال ضرب المثل بآدم - عليه السلام - ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٤]، وأعلم سبحانه بسرعة أمر الساعة﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[٥]، ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[٦].

---

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة الكهف: ١٠٩.

(٣) سورة الحج: ٣١.

(٤) سورة ال عمران: ٥٩.

(٥) سورة النحل: ٧٧.

(٦) سورة القمر: ٥٠.

وأوضح وأفصح وأبان من خلال ضرب العديد من الأمثال التباين الجلي بين المؤمن والكافر والمنافق والمرتد من مثل عرض صورة الكافر"كالأعمى والأصم"في مقابل صورة المؤمن"السميع والبصير". وتعرض صورة المنافق وهو في تخبطه وحيرته واضطرابه وانتكاسه كالذي ما يكاد يلوح له النور فيمشي فيه حتى يلفه الظلام فيتوقف ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾[1]، كما تخبر عن حقيقة حال المنافقين من أنهم أشكال ومظاهر ومناظر، لكن لا لب فيها ولا خير يسكنها ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾[2] وكذلك تبرز الأمثال تخبط المرتد وحيرته وخسرانه في صورة تكشف عن كل﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾[3] ، روى ابن جرير عن السدى في تفسير هذه الآية قوله: (مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون ائتنا فإنا على الطريق فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من تبعهم بعد المعرفة بمحمد - صلى الله عليه وسلم- ، ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام)[4].

كما تعرض هذه الأمثال صورة المنسلخ من آيات الله في صورة الكلب وهو يلهث في كل حال، وصورة اليهود في حملهم للتوراة غير متنفعين بما في من الهدى

---

(١) سورة البقرة : ٢٠.

(٢) سورة المنافقون: ٤.

(٣) سورة الأنعام : ٧١.

(٤) جامع البيان ٩ : ٣٢٩.

في صورة الحمار يحمل أسفاراً.

وتعرض أمثال القرآن والسنة أيضاً صوراً عديدة توضح حقيقة الدنيا في هوانها وسرعة زوالها في نماذج متشابهة في جوانب ومتنوعة في جوانب، فإذا هذه الحياة أشبه بدورة النبات تأتي في أعقاب نزول الماء ثم ما أسرع ما تتلاشى وتجف! أو مجرد مرحلة قصيرة ولمحة خاطفة كاستراحة المسافر، كما في الحديث"ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[1].

وتنفذ هذه الأمثال إلى حقيقة أعمال الكفار في الدنيا، ونتيجتها في الآخرة، فإذا هي عبارة عن رماد لا يصمد أمام الريح، أو سراب بقيعة يتصوره الظمآن ماء ولا حقيقة له إلا يترتب عليه من العذاب.

وتستأثر قضية الاحتجاج لحقيقة البعث وإبطال شبه المنكرين بالعديد من الأمثال في صورة الحياة تخرج بعد الموت في هذه الدنيا، من خلال حقائق واقعية من عالم النبات والأرض الميتة، أو في صورة حوادث وقصص وقعت.

كما تبرز الأمثال الكثير من أهوال القيامة ومن أوصاف الجنة ومن أوصاف النار، كإبراز ما يصيب الجبال من التمزق، وما يصيب الناس من التفرق، وكوصف حور العين وغيرها من نعيم الجنة، ووصف شرر النار وأطعمتها وأشربتها وغير ذلك من أهوالها.

كما يضرب القرآن المثل بما أصاب الأمم السابقة من النكال تحذيراً من عواقب الشرك والظلم والانحراف. ويؤكد القرآن أن تشابه انحرافات الكفار وادعاءاتهم

---

(١) رواه الترمذي في الزهد ٤: ٥٨٩ وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الزهد أيضا ٢: ١٣٧٦. وأحمد ٣: ٥٥٦ طبعة دار الحديث، وقال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تخريجه على المسند: "إسناده صحيح" ٣: ٥٥٦.

يرجع إلى تشابه قلوبهم ومعتقداتهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [(١)]. وتُبرز الأمثال وحدة الرسالات بصورة توحي باتفاقهم عليهم السلام في الأصول والعقائد واختلافهم في الفروع والشرائع، قال - صلى الله عليه وسلم - :"الأنبياء أخوة من عَلاّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد "[(٢)] والعلات الضرائر، فشبه الاتفاق في أصل الدين باتفاق الأخوة في الأب والاختلاف في الفروع باختلافهم في الأمهات .

إلى غير ذلك من الأمثال التي تتناول معاني العقيدة. هدفنا أن نشير اليها هنا مجرد إشارة توضح عناية الأمثال في القرآن الكريم والسنة ببيان معاني العقيدة. وسيأتي معنا الحديث عن بعض هذه الأمثال وغيرها بما يوضحها في سياق البحث.

وحتى الأمثال التى جاءت في معرض التوجيهات الخلقية والتكاليف العملية فإنها امتزجت بمعاني العقيدة وارتبطت بها ، فالمثل الذي ضربه صلى الله عليه وسلم لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشير إلى أن النجاة من عذاب الله والأمن من عقابه إنما تتحقق من خلال ممارسة كل قادر لدوره في التصدي للمنكر ، وذلك بإبراز هذا المعنى بواسطة مثل السفينة التي يؤدي خرقها إلى غرق الجميع : "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ،

---

(١) سورةالبقرة : ١١٨.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٦ : ٤٧٨ ، ومسلم في الفضائل ٤ : ١٨٣٧.

فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"(١).

ويضرب – صلى الله عليه وسلم - مثلا للمجتمع المؤمن بالجسد الواحد، ليشير – عليه السلام- إلى أن رابطة الإيمان تقتضي التعاون والتراحم والمشاركة بالآلام، كأن أصحاب هذه الرابطة جسد واحد، "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"(٢).

وكإخباره - صلى الله عليه وسلم - بخطورة تهالك المرء على طلب المال والشرف على دينه، وأن ذلك يُلحِق بدين المرء من الفساد ما لا يقل عما يُحدِثه ذئبان كانا في حالة جوع أُطلِقا في غنم "ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"(٣)وغير ذلك من الأمثال الوارده في القرآن والسنة الموضحة للمعاني الدقيقة بما يقربها ويزيل ما فيها من الغموض.

المبحث الثالث :الأغراض العقدية لضرب الأمثال في القرآن والسنة:

لم تأت الأمثال في القرآن والسنة لمجرد الغايات الأدبية والبلاغية فحسب، وإن كان سمو الأسلوب وبلاغته ومجيئه في أعلى مستوى من الجمال سمة ظاهرة في

---

(١) رواه البخاري في الشركة ٥ : ١٣٢.

(٢) رواه البخاري في الأدب ١٠ : ٤٣٨، ومسلم في البر والصلة ٤ : ١٩٩٩- ٢٠٠٠.

(٣) رواه الترمذي في الزهد٤ : ٥٨٨ وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد ٣ :٤٥٦ والدارمي في الرقائق٢ :٣٠٤. وصححه الشيخ حمزة الزين في تخريجه أحاديث المسند الذي أكمل به تخريج الشيخ أحمد شاكر١٢ :٣١١.

هذه الأمثال، لكنها تهدف إلى العديد من الأغراض والمقاصد الإيمانية والتربوية، وذلك على نحو يرمي إلى توضيح المعاني والتصورات الاعتقادية في الأذهان، وتأصيلها وغرسها في القلوب، وتفعيلها في الواقع والسلوك.

وتتنوع هذه الأمثال وتتداخل بحيث يكون للمثل العديد من الأغراض، كما تتكامل ويؤدي بعضها إلى البعض الآخر أو يرفده ويسهم في تحقيقه، وبالنظر لما ارتبط بهذه الأمثال من المقاصد والحكم فإن القرآن الكريم يلح على تدبر هذه الأمثال والتفكر في مدلولاتها سعياً إلى فقه هذه الحكم والغايات، وقد أشرنا عما قريب إلى ربط القرآن بين ضرب الأمثال وكل من التفكر والتعقل والتذكر، ولهذا قال سبحانه ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(1)، ومن أبرز هذه الأغراض:

١- الإخبار عن حال الشيء أو حكمه أو مقداره أو عدده أو نحو ذلك من وجوه التعريف بالمخبر عنه فتجليه للسامع بصورة واضحة، وذلك كالإعلام بكون عدد الأرضين سبعاً، في قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾(2) والإعلام بمقدار ثواب الحسنات وجزاء السيئات ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(3).

(1) سورة العنكبوت: ٤٣.

(2) سورة الطلاق: ١٢.

(3) سورة الأنعام: ١٦٠.

وكوصف الصراط في الحديث بأنه"أدق من الشعرة وأحد من السيف"(١)، ووصف كلاليب جهنم بأنها كشوك السعدان "وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟"قالوا: نعم يا رسول الله، قال: "فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم"(٢)، ومنه أيضاً وصف مرور الناس على الصراط وتفاوتهم في ذلك في الحديث بأنه"كطرف العين وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل و الرّكَاب"(٣)، وكوصف حوضه صلى الله عليه وسلم بقوله: "حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء"(٤) وكوصفه أيضاً سعة أبواب الجنة بقوله :"إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى "(٥).

ومن ذلك أيضاً ما ورد في السنة من الإخبار عن قرب الساعة "بعثت والساعة كهذه من هذه، أوكهاتين، وقرن بين السبابة والوسطى "(٦)، ومنه أيضاً وصف الدجال وهيئته بما يجلي تلك المعاني ويوضحها كقوله - عليه السلام - :"كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن"(٧).

---

(١) رواه مسلم في الإيمان ١: ١٧١. وأحمد ٦ :١١.

(٢) رواه البخاري في الأذان ٢ : ٢٩٢، والرقاق ١١ : ٥٤٥، والتوحيد ١٣ : ٤١٩. ورواه مسلم في الإيمان ١ : ١٦٥.

(٣) رواه مسلم في الإيمان ١ : ١٦٩، وأحمد ٦ : ١١٠.

(٤) رواه البخاري في الرقاق ١١ : ٤٦٤، ومسلم في الفضائل ٤ : ١٨٠٠. وأيلة هي العقبة كما أشار ابن حجر في فتح الباري ١١: ٤٧٠.

(٥) رواه البخاري في التفسير ٨ : ٣٩٥-٣٩٦، ومسلم في الإيمان ١ : ١٨٤، غير أنه في مسلم " هجر" بدلا من " حمير".

(٦) رواه البخاري في الطلاق ٩ : ٤٣٩، ومسلم في الفتن ٤ : ٢٢٦٨.

(٧) رواه مسلم في الفتن ٤ : ٢٢٥٢، وابن ماجه في الفتن أيضا ٢ : ١٣٥٦.

وكوصف الحور العين بما يُعلِم بمبلغ الجمال والصفاء والنعومة ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾[(١)]، ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[(٢)]، ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾[(٣)].

ومنه الإخبار في الحديث عن ضآلة نسبة أهل الجنة إلى أهل النار يوم القيامة "ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض"[(٤)].

ومن ذلك أيضاً الإخبار عن الحوادث السابقة وإهلاك السابقين بوصف ذلك بواسطة ضرب الأمثال، مثل الإشارة إلى عظمة أمواج الطوفان الذي أصاب قوم نوح - عليه السلام - بوصفها بأنها كالجبال ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾[(٥)] ووصف انفلاق البحر لموسى - عليه السلام - ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[(٦)]، ووصف عذاب عاد ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾[(٧)] ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[(٨)] ووصف حال ثمود مع العذاب ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾[(٩)].

---

(١) سورة الصافات : ٤٩.

(٢) سورة الرحمن :٥٨.

(٣) سورة الواقعة : ٢٣.

(٤) رواه البخاري في الأنبياء ٦ :٣٨٢. ومسلم في الإيمان ١ : ٢٠٠. ونحوه عند ابن ماجه في الزهد ٢ : ١٤٣٢.

(٥) سورة هود: ٤٢.

(٦) سورة الشعراء: ٦٣.

(٧) سورة القمر : ٢٠.

(٨) سورة الحاقة : ٧.

(٩) سورة القمر : ٣١.

ومن ذلك أيضاً الإرشاد إلى طبيعة الأدب الواجب على المؤمنين اتباعه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[١] ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٢] فإن الآيات تشير إلى صيغة الخطاب والدعاء اللائق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما ينبغي لها من التفرد عن خطاب غيره من الناس.

ونحو ذلك من الأمثال الدالة على التعريف بالمخبر عنه.

٢- توضيح المعنى وتيسيره عن طريق التمثيل، وذلك بتشبيه المعنى المراد توضيحه بمثال واضح للمخاطب، ومن ذلك تجسيد المعاني المعقولة بصور المحسوسات، كقوله سبحانه ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾[٣] وهو تشبيه لأعمال الكفار في بطلانها وضياع قيمتها وعدم انتفاع أصحابها بها في الآخرة وخيبة ظنهم، بالرماد الذي تطاير وتلاشى بفعل الريح العاصفة، فيما صاحبه عاجز عن تحصيل شيء منه يستحيل عليه الاستفادة منه كاستحالة جمع الرماد الذي تطاير مع الريح العاصف[٤]، ففي المثل تقريب لهذه الحقيقة الغيبية، بعرضها بصورة محسوسة، لتكون أوضح وأوقع في النفس، ونحو هذا ضرب المثل لحال الدنيا في

(١) سورة الحجرات : ٢.

(٢) سورة النور : ٦٣.

(٣) سورة إبراهيم :١٨.

(٤) أنظر : ظلال القرآن ٤ : ٢٠٩٤، التربية بضرب الأمثال :٢٢ .

سرعة زوالها وفجاءة انقلاب واقعها إلى النقيض في قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ (١)، فوجه الشبه منتزع من أمور قد جُمع بعضها إلى بعض، إذ في الآية عشر جمل لو سقط منها شيء اختل التشبيه. ومن ذلك أيضاً تقريب القرآن والسنة لكثير من حقائق الآخرة عن طريق الأشباه والنظائر والأمثال الدالة على أوصافها، كما في وصف الله لما يصيب السماء يوم القيامة من التبدل والتمزق ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ (٢)قال ابن كثير- رحمه الله -: (أي تذوب كما يذوب الدردري والفضة في السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء)(٣) وكما في قوله سبحانه ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ (٤) والمهل هو النحاس المذاب، وقوله أيضاً ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ (٥) وكقول الله سبحانه في بيان حال المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (٦) فبعد أن أشار إلى مظاهرهم الخادعة

(١) سورة يونس : ٢٤.

(٢) سورة الرحمن : ٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٤ : ٢٧٥.

(٤) سورة المعارج : ٨.

(٥) سورة القارعة : ٥.

(٦) سورة المنافقون : ٤.

بيَّن حقيقة حالهم في مثل معبر عن هذه الحقيقة غني بالظلال والدلالات مقتصد باللفظ يرخي العنان للتصور والتخيل بوجوه المفارقة بين المظهر واللب. وقد يكون هذا التوضيح عن طريق تمثيل مدرك محسوس بمدرك محسوس وذلك كتمثيل محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بالزرع ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[1].

وكتشبيه المؤمن بالنخلة فقد روى ابن عمر –رضي الله عنهما- قال: كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: " أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا، تؤتي أكلها كل حين" قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لايتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولا شيئاً قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : "هي النخلة" قال: فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: "ما منعك أن تكلم؟" قال: لم أركما تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: "لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا"[2].

٣- لفت النظر إلى عظمة آيات الله سبحانه وتعالى مما يستحق التفكر والتدبر والانتباه في دلالتها الإيمانية من مثل قول الله سبحانه: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾[3] فشبه السفن المسخرة في البحر بالجبال ليدلل على عظمتها ويلفت الأنظار لتدبرها وهو ما سماه الرماني: (إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له

---

(١) سورة الفتح : ٢٩.

(٢) رواه البخاري في التفسير ٨ :٣٧٧، ونحوه عنده في العلم ١ : ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٢٩ ، ورواه مسلم في صفات المنافقين ٤ : ٢١٦٥ ، وأحمد ٢ : ٦١.

(٣) سورة الرحمن : ٢٤.

قوة في الصفة)[1]، وذلك لاجتماع المشبه والمشبه به في العِظَم، ومن ذلك قوله سبحانه في وصف القمر: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[2] والعرجون القديم هو أصل العنقود من الرطب إذا عتق و يبس وانحنى.

وقد اقتبس العديد من الشعراء هذا المعنى وأخرجوه في أشعارهم، وما ذلك إلا لما في هذا التشبيه من الجمال و الملاحة، ولما له من التأثير والحلاوة، قال أبو عبدالله بن الحداد الأندلسي[3]:

وبدا هلال الفطر فيها سائـــرا   وسط السماء كأنه العرجـــون

وقال ابن قلاقس[4]:

دع امـــرأ القـــيس ودع أمراســـــه   فِتَـر الهـلال سرعة قـد قاســـــه

مُنكــــسا نحــــو الثريـــا رأســــــه   هل تعرف العرجون والكباســـه

والكباسة هي العذق التام بشماريخه وبسره.

ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[5] قال مجاهد - رحمه الله -: (أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها)[6] وقال ابن كثير - رحمه الله - : (أي مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها)[7].

(١) النكت في إعجاز القرآن ، الرماني : ٨٣ .

(٢) سورة يس : ٣٩.

(٣) غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، علي بن ظافر الأزدي : ١٥.

(٤) المصدر السابق : ١٨.

(٥) سورة الأنعام : ٣٨.

(٦) تفسير ابن كثير ٢ : ١٣١.

(٧) المصدر السابق ٢ : ١٣١.

٤- إقامة الحجة والبرهان العقلي على حقيقة من الحقائق الدينية العقدية أو على فساد شبهة من شبه المعاندين، فإن للأمثال تأثيراً واضحاً في الإقناع بأمور قد تستغرب أو تنكر إبتداء، إذ جريان الأمر على مثيل الشيء وشبهه يزيل ما في النفس من إنكار أو استغراب لجريانه على الشيء ذاته طالما أدرك أو عاين المخاطب تحققه في المثل.

ومن ذلك بيان القرآن لبطلان عبادة الشركاء عقلا، وأنه لا يستحق العبادة إلا الله سبحانه ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) فإن هؤلاء المشركين معترفون أن الشركاء مملوكون لله فقد كانوا يقولون: "لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك". فضرب الله لهم مثلا من واقع أنفسهم هل يرضى أحدهم أن يكون عبده المملوك له شريكاً له فيما يملك من المال ويكون معه في ذلك على سواء ؟!! وقوله ﴿ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ قال ابن كثير: (أي تخافون أن يقاسموكم الأموال) ونقل عن بعض السلف: (إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذلك) (٢)، وإذا كنتم تأنفون من ذلك فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه؟! فدل بذلك على براءة الله سبحانه من الشرك بطريق الأولى والأحرى، ولهذا ذيلت الآية بقول الله ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾، وإنما احتج

(١) سورة الروم : ٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير٣ : ٤٣١.

عليهم القرآن بما يعرفونه من أنفسهم وبما ملكت أيمانهم، وفيما هو من رزقهم، ليكون أبلغ في الاحتجاج عليهم وأقوى في الإقناع، لوضوح المعنى عندهم.

قال ابن القيم معلقاً على هذا المثل: (فإن كان هذا الحكم باطلا في خاطركم وعقولكم، مع أنه جائز عليكم وممكن في حقكم، إذ ليس عبيدكم ملك لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنت وهم عبادي، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء هم عبيدي وملكي وخلقي؟! فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول)[1].

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: (هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا ؟! ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحاً لا يجهله إلا كل غبي قال الله تعالى "الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون")[3] فالحكم بعدم التساوي وبالتفاوت البعيد بين المذكورين من البدهيات التى لا ينكرها عاقل ولا عالم، مما يدل بصورة جلية واضحة على بطلان مساواة هذه الآلهة العاجزة المخلوقة بالحق سبحانه. ومثل ذلك في إقامة الدليل العقلي على عجز الآلهة المدعاة من دون الله مما يشهد ببطلان عبادتها، ويعني ضلال عبادها هذا المثل الذي ضربه سبحانه في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن

(١) الأمثال في القرآن، ابن القيم: ٢٠٢- ٢٠٣ .

(٢) سورة النحل : ٧٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ : ٥٧٨ .

تخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾(1).

وكثيراً ما يحتج القرآن الكريم على منكري البعث بضرب المثل بما يشاهدونه من مظاهر الحياة بعد الموت في عالم الأرض الميتة يحييها الله بعد ذلك ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾(2) ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾(3) ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ۝ والنخل باسقات لها طلع نضيد ۝ رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾(4). وغيرها من الآيات التى تنبه وتشير إلى حقائق تجري أمام سمع الإنسان وبصره يتمثل فيها إحياء الأرض الميتة فلماذا ينكر قدرة الله على ذلك؟! فإذا كان البعث إحياء بعد موت فها هو يتم فيما يراه الإنسان من إحياء الله للأرض الميتة، وإذا كان إحياء الأرض الميتة هو إخراج "سقناه لبلد ميت فأخرجنا به من كل الثمرات" فالبعث كذلك "كذلك نخرج الموتى" ومن أسماء البعث الخروج. وإذا كان البعث نشوراً فها هو النشور يقع فيما يبصرون ﴿ والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ﴾(5).

(1) سورة الحج : ٧٣ .

(2) سورة الأعراف : ٥٧ .

(3) سورة فاطر : ٩ .

(4) سورة ق : ٩-١١ .

(5) سورة الزخرف : ١١ .

ومثل ذلك حديث أبي رزين العقيلي - رضي الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : " أما مررت بوادى أهلك محلا ؟ " قال : بلى. قال : "أما مررت به يهتز خضرا ؟ " قال : قلت : بلى. قال : "فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه"[١].

كما يحتج عليهم ببرهان عقلي آخر بأن من قدر على خلق الإنسان أول مرة قادر على إعادة خلقه من باب أولى بالبداهة ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[٢].

ومنه أيضاً الرد على شبهة النصارى في عبادتهم لعيسى - عليه السلام - بضرب المثل بآدم - عليه السلام - فكما لم يقتض خلق آدم من غير أبوين استحقاقاً في العبادة فمن باب أولى أن لا يدل أبدا خلق عيسى – عليه السلام – من غير أب على أي استحقاق للعبادة ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

إلى غير ذلك من الأمثال الواردة في القرآن أو السنة والدالة على إقامة الحجة والبرهان على العقائد الإسلامية وإبطال شبه المرجفين والمعاندين.

٥- توكيد المعنى بذكر مثل له يتجلى في هذا المثل المعنى المراد توكيده، وذلك كقول الله سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[٤]، فإن مجيء هذا المثل في أعقاب القسم بأحقية المقسم عليه ، وهو كون البعث

(١) رواه أحمد ٤ : ١١ . وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير ١ : ٤٢٠ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٤) سورة الذاريات : ٢٣ .

والجزاء كائن لا محالة ، فيه إيقاف للمخاطبين على ما يزيد المعنى وضوحاً، ويؤكده في نفوسهم فكأنهم يحسونه.

ومنه توكيد استحالة دخول المكذبين بآيات الله المستكبرين عنها الجنة كاستحالة دخول الجمل من ثقب إبرة، كما في قوله سبحانه﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1]، وهذا فيه معنى التمثيل، فكما أن دخول الجمل في ثقب إبرة مستحيل كذلك فإن تفتُّح أبواب السماء لأرواح المكذبين أو لدعائهم وأعمالهم ودخولهم الجنة مستحيل. وفي تعليق تفتح أبواب السماء للمكذبين ودخولهم الجنة على دخول الجمل في سم الخياط تيئيس من إمكانية ذلك.

ومنه ما جاء في الحديث قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال – صلى الله عليه وسلم – : "نعم" قال: "هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟"قالوا: لا يا رسول الله قال: "ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما"[2].

فإن في هذا التمثيل ما يؤكد ويقطع بوقوع هذه الرؤية وأنها على حقيقتها.

٦- الترغيب باتباع الحق إيماناً وعملا والتنفير من اتباع الباطل ومن سلوك سبل الانحراف.

---

(١) سورة الأعراف : ٤٠ .

(٢) رواه البخاري في الرقاق ١١ : ٤٤٥ ، والتوحيد ١٣ : ٤١٩ ، ومسلم في الزهد ٤ : ٢٢٧٩ .

وقد يأتي ذلك ببيان قبح ما عليه أصحاب الباطل وأتباعه مقابل حسن ما عليه أصحاب الحق، والترغيب إنما يكون بالإشارة إلى ما بين المرغب فيه والأمور الممدوحة المحبوبة المستحسنة من تماثل وتشابه، بينما يكون التنفير بالإشارة إلى ما بين المنفر منه والأمور المذمومة المستقبحة والمكروهة أو المرذولة من تماثل وتشابه، ومن ذلك تمثيل حال الكافر بالأعمى والأصم مع تمثيل حال المؤمن بالسميع والبصير، وما فيه من ترغيب في الإيمان ومدح للمؤمن و تنفير من الكفر وذم للكافر، والقاعدة في المدح تشبيه الأدنى بالأعلى وفي الذم تشبيه الأعلى في الأدنى[1]، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2] ففي تشبيه الكافر بالأعمى والأصم بيان بأنه في عدم اهتدائه إلى الحق حاله حال من عمي عنه فلم يره، وفي عدم انتفاعه بما يسمع من الحجج و البراهين حاله حال الأصم الذي لم يسمعها، بينما حال المؤمن أنه لبيب ذكي فطن ينتفع بما يراه ويسمعه من الأدلة، فهو سماع للحق فاقه لأدلته ولذلك فهو متبع له، وذلك مما يحبب سلوك طريق الإيمان إلى النفس ويُخوِّف من سلوك طريق الكفر.

ومن الأمثال التي تنفر من سلوك طريق المشركين بالكشف عن قبح حالهم وسوء صنيعهم وتدنيهم عن مرتبة الإنسانية إلى أحط صفات البهيمية ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ

(١) انظر: مقدمة "الجمان في تشبيهات القرآن": ٥٧.

(٢) سورة هود: ٢٤.

كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

فهذا المثل يكشف عن الحقارة التي تتلبس بالمنسلخ عن آيات الله المكذب بها. وفي ذلك تنفير من السقوط في ذلك. وفي ضرب المثل بالكلب إبراز لمبلغ المسخ الذي يصير إليه هذا المنسلخ ، فالكلب أخبث الحيوانات وأوضعها قدراً وأحطها شأناً.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في تصوير حال اليهود في نُكوسهم عن حمل الرسالة التي كُلفوا بها في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[2] ففي المثل تنفير من هذا السلوك الشائن بتوضيح شبهه بصورة الحمار يحمل أوعية العلم لا حظ له من ذلك إلا الثقل على ظهره فلا هو يعرف قيمتها ولا يفقه ما فيها. قال ابن القيم - رحمه الله - : (هذا المثل وإن كان ضُرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن ولم يعمل به ، ولم يرعه حق الرعاية)[3].

ومنها أيضاً تصوير حال المشركين البائس والمثير للسخرية وهم ينفرون من الهدى نفور الخائف المذهول ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴾[4] فقد أبرز

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٥- ١٧٧.

(٢) سورة الجمعة : ٥.

(٣) الأمثال في القرآن : ٢١٤.

(٤) سورة المدثر : ٥٠- ٥١.

المثل ما فيهم من الغباوة والبلادة والطيش والرعونة بتشبيههم بالحمر التي لا تعقل شيئاً وهي في حالة النفور مما يعقرها ويقتلها، وهي حاله أدعى إلى التصرف من غير تفكير ولا عقل، وفي التعبير بلفظ "المستنفرة" دون النافرة إشارة بأنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً وحضه على النفور[1]. وما أعجب ذلك منهم وأغربه! فإن فرار الحمر إنما كان من الأسد أما فرارهم فكان من الهدى.

ومن ذلك تصوير ضعف وهوان اتخاذ الأولياء من دون الله بالبيت الذي اتخذته العنكبوت ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، فإن في هذا المثل إبراز لسوء فعلة من عَبَد غير الله، فإنهم أرادوا أن يتعززوا ويتقووا بهذا الإله الذي عبدوه فلم يكن عنده إلا الضعف والهوان فازدادوا به ضعفاً وهواناً.

وقد يأتي هذا الترهيب والتنفير بوعيد الكافرين أن يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب الكافرين قبلهم، لتشابه أحوال الفئتين وذلك من أجل تخويفهم من سلوك سبيل أولئك المعذبين، وترغيبهم بسلوك سبيل المؤمنين الناجين في الدنيا والآخرة، وقد ورد ذلك في مواضع عديدة من القرآن الكريم منها﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]"﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[4].

(١) انظر: الأمثال في القرآن: ٢١٢

(٢) سورة العنكبوت: ٤١.

(٣) سورة يونس: ١٠٢- ١٠٣.

(٤) سورة فصلت: ١٣.

وقد يأتي أيضاً الترهيب بضرب المثل بما يسبب الشقاء والحرمان في الدنيا ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [1]، ومن بديع أمر هذا التشبيه إشارته إلى ملازمة الجوع والخوف لهؤلاء الكافرين بأنعم الله بعد أن كانوا في الأمن والطمأنينة والرزق والعيش الرغيد ملازمة هي أشبه باللباس يلازم الجسد، وذلك في قوله سبحانه: "فأذاقها الله لباس الجوع والخوف" مما يُخوِّف من سلوك طريقهم.

وقد يأتي الترغيب والترهيب بعرض مثل لكلمة الإيمان يدل على أصالتها وقوتها وعلوها وعظمة وكثرة ثمارها، وعرض مثل لكلمة الكفر يدل على تهافتها وبطلانها وهوان شأنها ومرارة ثمارها ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ "[2].

كما يأتي الترغيب والترهيب بمثل يبين صفة الجنة وما فيها من ألوان النعيم، مع الإشارة إلى ما ينتظر الكافرين من خلود في النار وعذاب شديد، مما يدل على الفرق الكبير والبون الشاسع بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ

(١) سورة النحل : ١١٢.

(٢) سورة إبراهيم : ٢٤ - ٢٦.

ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ (١) ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ (٢). وقد يأتي المثل في هذا المجال ببيان مبلغ نعيم الجنة بوصف نساء أهل الجنة والحور العين ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴾ (٣) ﴿ وَحُورٌ عِينٞ ۝٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴾ (٤) ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ "(٥). كما يأتي الترهيب بالأمثال المعبرة عن وصف أهوال جهنم المزلزلة للقلوب نحو قوله سبحانه في وصف شجرة الزقوم ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ "(٦)، وفي وصف شرر النار ﴿ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴾ (٧)، ووصف حال المشركين في البعث ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴾ "(٨). كما يأتي الترغيب في نحو قوله سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ "(٩). و يأتي أيضاً الترغيب بضرب أمثلة لأصحاب الإيمان

---

(١) سورة الرعد : ٣٥.

(٢) سورة محمد : ١٥.

(٣) سورة الصافات : ٤٨- ٤٩.

(٤) سورة الواقعة : ٢٢- ٢٣.

(٥) سورة الرحمن : ٥٨.

(٦) سورة الصافات : ٦٥.

(٧) سورة المرسلات : ٣٢- ٣٣.

(٨) سورة المعارج : ٤٣.

(٩) سورة الصافات : ٦٠ - ٦١.

الصادق لا تضرهم روابط جمعتهم إلى الكفار، والترهيب بضرب أمثلة للكفار لا تنفعهم رابطة أخرى مهما قويت كرابطة الأبوة أو الزوجية ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ "[1].

ونحو ذلك من الأمثال الواردة في القرآن والسنة في الترغيب في الإيمان ولوازمه أو في الترهيب من الكفر ولوازمه.

٧- تثبيت المعاني والحقائق العقدية والشرعية وأدلتها العقلية في الذهن، فإن تصوير المعاني بصوز الأشخاص أو غيرهم من المحسوسات يشرك الحواس في معاونة العقل في تصور وحفظ هذه المعاني، لأن هذا التصور يُوظِّف قوى الذاكرة والتخيل في حفظ المعلومة فضلا عن فهمها، (وما أشبه التمثيل اللفظي والتصوير البلاغي بالتمثيل المسرحي، بل إننا نقول بكل تأكيد إن ذلك قد ولّد هذا، وإن نجاح الثاني ما هو إلا أثر عن نجاح الأول، وما الترابط بينهما إلا كترابط السبب بالمسبب والأثر بالنتيجة واللفظ بالمعنى والصورة بالحقيقة)[2]، وذلك لأن التمثيل يتضمن تحويل النفس عن الشيء لا تعلمه إلى شيء آخر علمها به واضح لتمكنه فيها وثقتها به، حيث تتحول من المعقول إلى المحسوس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالبداهة والفطرة. قال عبدالقاهر في تعليل تأثير التمثيل في تعلق المعلومة في

---

(١) سورة التحريم ١٠ – ١١.

(٢) ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، عبدالمجيد البيانوني: ٣٨.

الـذهن وحفظهـا : (فـإن لـذلك أسـباباً وعلـلا كـل منهـا يقتـضي أن يفخـم المعنـى بالتمثيل وينبل، ويشرف ويكمـل، فـأول ذلـك وأظهـره أن أُنـس النفـوس موقـوف على أن تُخرجها من خفـي إلى جلـي، وتأتيهـا بـصريح بعـد مكنـى، وأن تردهـا في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكـم، نحـو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس؛ وعما يعلـم بـالفكر، إلى مـا يعلـم بالاضـطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام؛ وبلـوغ الثقة في غاية التمام كما قالوا "ليس الخبر كالمعاينة ولا الظـن كـاليقين" فلهـذا يحـصل بهذا العلم هذا الأنس أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوة، وضرب آخـر مـن الأنس وهو ما يوجبه تقدم الإلف.

ومعلـوم أن العلـم الأول أتـى الـنفس أولا مـن طريـق الحـواس والطبـاع ثـم مـن جهـة النظـر والرويـة، فهـو إذن أمـس بهـا رحمـاً، وأقـوى لـديها ذمـاً، وأقـدم لهـا صحبة وآكد عندها حرمة وإذا نقلتهـا في الـشيء بمثله عـن المـدرك بالعقـل المحـض، وبالفكرة في القلب، إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع، وعلى حـد الـضرورة، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم)[1].

ويمكـن ملاحظـة تـأثير الأمثـال في حفـظ المعلومـة وتأثيرهـا بـالنفس في سـائر مـا ذكرنا من أمثال القرآن والسنة الـسالفة في الأغـراض الـسابقة، وفي مـا سـنذكره مـن الأمثال في الأغراض اللاحقة.

(١) أسرار البلاغة في علم البيان: ١٠٢- ١٠٣.

٨ - استخلاص سنن الله في الأفراد والمجتمعات.

فإن ما يترتب على تصرفات الناس من نتائج، وعلى مسيرة الأمم ونهجها في الحياة من آثار وعواقب، وما يقع في التاريخ من تبدل الأحوال من السلامة إلى الهلاك ومن الرخاء إلى الشدة ومن النعمة إلى النقمة أو العكس، كل ذلك لا يقع اعتباطاً ولا عبثاً ، وإنما هو وفق سنن ثابته لا تتبدل ولا تتحول(١)، ومن هنا فإن القرآن يشير إلى أن ما أصاب الأمم السابقة من الهلاك أو العذاب هو أمثال تدل على مصير كل من سلك نهجهم واقتفى طريقهم، مما يُحتِّم على كل أصحاب العقول النظر في مسيرة الأمم واتخاذ العبرة من ذلك ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ "(٢) ولهذا يحذر الله الكفار من سنة الأولين ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ "(٣) ويخبر أيضاً أنه جعل إهلاك الأمم مثلا لكل من بعدهم من الكفار في استحقاق العذاب ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ "(٤).

وقد حذر الإسلام من المحاباة في إقامة الحدود بأن تقام على الضعيف ويستثنى منها الشريف، لأنه كان سبب هلاك الأمم السابقة، ومصير كل من يفعل فعلهم أن تلحقه عقوبة الهلاك ذاتها، قال - صلى الله عليه وسلم- : "إنما أهلك

(١) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبدالكريم زيدان: ١٢. التربية بضرب الأمثال ، عبدالرحمن النحلاوي: ١٠٤ .

(٢) سورة ال عمران : ١٣٧.

(٣) سورة الأنفال : ٣٨.

(٤) سورة الزخرف : ٥٥ — ٥٦.

الذين من قبلكم أنهم إذا سرق منهم الشريف تركوه، وإذا سرق منهم الضعيف أقاموا الحد عليه، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[1].

وقد أطلق القرآن على العقوبات التي نزلت بالأمم السابقة: المثلات ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾[2] فدل بذلك على أن الأمر سنة جارية، فمن ماثل غيره في كفر أو معصية أو ظلم اقتضت حكمة الله وعدله أن يجري عليه ما جرى على مثيله، إذ لا فرق ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾[3] ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾[4]. وكل ذلك حقيقة واضحة يدركها بالبداهة كل ذي لب.

وكما يخبر سبحانه أنه يساوي بين المنحرفين في العقوبة إذا تساوت انحرافاتهم، يخبر أيضاً أنه يساوي بين المؤمنين في النصر والتمكين طالما تساوت موجبات ذلك ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾"[5] (فإنما هو وعد ثابت من الله تعالى وسنة مطردة في التماثل والأضداد، وأن المتساوين في المعاني التي نيطت بها

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٦ : ٥١٣، وفي فضائل الصحابة ٧ : ٨٧ ـ ٨٨، وفي الحدود ١٢ :٨٦، ٨٧، ومسلم في الحدود ٣: ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، وأبوداود في الحدود أيضا ٤ : ٥٣٧ ، والنسائي في قطع السارق ٨ : ٧٤ ، وابن ماجه في الحدود ٢ : ٨٥١ ، وأحمد ٦ : ١٦٢ .

(٢) سورة الرعد : ٦.

(٣) سورة القمر : ٤٣.

(٤) سورة المرسلات : ١٦- ١٨.

(٥) سورة النور : ٥٥.

الأحكام يتساوون في هذه الأحكام، وعليه فإن سنة الله في الاستخلاف أنه يكون لمن تحقق فيهم شرط الاستخلاف من هذه الأمة إلى يوم القيامة، فهو حكم عام وسنة عامة مطردة)[1].

وكما يخبر سبحانه أنه يساوي بين المتماثلين يخبر أيضاً أنه لا يمكن أن يساوي بين المختلفين، فلا مساواة بين المؤمن والكافر ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[2]، ولا مساواة بين المصلح والمفسد ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ "[3]، ولا مساواة بين العالم بكتاب الله وآياته مع من عميت بصيرته عن إدراك ذلك ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ "[4]﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ "[5].

ولهذا دعا القرآن الكريم إلى أخذ العبرة من آثارالغابرين، وعاب على من أعرض عن ذلك أو غفل عنه وقرعهم ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[6] ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا

(١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : ١٨٠ .

(٢) سورة القلم : ٣٥ – ٣٦ .

(٣) سورة ص : ٢٨ .

(٤) سورة الرعد : ١٩ .

(٥) سورة الأنعام : ١٢٢ .

(٦) سورة ابراهيم : ٤٥ .

ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[(١)].

فهذه الآثار والعاديات تدل على مصيرهم ، ولهذا يدعو القرآن إلى النظر فيها باعتبارها وسيلة إيضاح تدل على سنة الله الجارية في الإهلاك بالشرك والمعاصي ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾[(٢)].

فهذه المصائر هي أمثال مضروبة لأصحاب العقول ليفقهوا تلك السنن ، وينتفعوا بها.

٩- الدلالة القاطعة على أن القرآن من عند الله سبحانه.

بالإضافة لما تتضمنه آيات الأمثال في القرآن من وجوه الإعجاز البياني الذي تحدى الله به أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن مجاراته ومباراته في ذلك، فإن من هذه الآيات آيات تتضمن ألواناً آخرى من الإعجاز كالسبق العلمي بإيراد حقائق علمية لم تكن معروفة أبدا حين نزول القرآن، وإنما توصل إليها الباحثون في العصور الإخيرة، وذلك ما اصطلح على تسميته بالإعجاز العلمي، وهو يبرهن بصورة ساطعة على كون القرآن من عند الله سبحانه وتعالى. ومن ذلك: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ "[(٣)]، فقد شبه الله تضييق الضلال للصدر بما يجده من

(١) سورة النمل :٥٢ .

(٢) سورة الأنعام :٦ .

(٣) سورة الأنعام : ١٢٥ .

يصعد في السماء من ضيق الصدر وحراجة التنفس، وسبب ضيق من يصعد إلى أعلى أن الأكسجين إذا دخل الحويصلات الهوائية التي في الرئتين انتفخت، وإذا صعد الإنسان إلى طبقات الجو العليا نقص الأكسجين ، فيقل ضغطه على الحويصلات فتنكمش فيضيق الصدر ويصعب التنفس ، ويزداد هذا الضيق وما يتبعه من صعوبة التنفس بزيادة الارتفاع، حتى يؤدي ذلك إلى تمدد الغازات التي في المعدة فتضغط على الحجاب الحاجز الذي يضغط على الرئتين فيضيق الصدر أكثر(١).

فهذه الحقيقة العلمية تخرج عن المدى العلمي ليس لشخصية رجل أمي عاش في الجريرة العربية في تلك الفترة من التاريخ فحسب، بل عن المدى العلمي للبشرية كلها في ذلك الزمن، مما يبرهن على أن القرآن من عند الله سبحانه.

ومثل ذلك قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ "(٢). فهذا المثل يتضمن أمور منها تزيين وزخرفة الأرض وغرور أهلها وتوهمهم قدرتهم على كل ما يحتاجون إليه قبل يوم القيامة، وكل ذلك مشاهد فهو من الإعجاز الإخباري.

وقوله ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ﴾ مع ما جاء في آية آخرى من وصف مجيء الساعة بالسرعة الخاطفة﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾(٣). فيه إشارة

(١) انظر: التوحيد، عبد المجيد الزنداني ١ : ٦٤.

(٢) سورة يونس : ٢٤ .

(٣) سورة النحل : ٧٧ .

إلى ما عُرف في العصور الحديثة من أن وقت النهار في مكان هو نفسه وقت ليل في مكان آخر، فالساعة تأتي في الوقت نفسه على أرض في الليل وعلى أخرى في النهار، وهو من الإعجاز العلمي[1].

وقوله سبحانه﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾[2] دال على أن اليهود والنصارى إنما وصفوا الله بصفة البنوة تقليداً لمن سبقهم من الكفار، مما يدل على شيوع الاعتقاد بأن لله ولدا - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بين كثير من الأمم السابقة. وهذا الأمر قد دلت عليه عملية فك الرموز التي اكتشفت مؤخراً وتوصلت له كثير من الأبحاث الحديثة[3]، من أن نسبة الولد لله مما اشتركت فيه كثير من الأديان الوثنية الموغلة في القدم.

وقال تعالى في الإخبار عن أعمال الكفار ﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ "[4]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (هذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أن يذهب، بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب ؟ قال: معهم قيل فإلى أين يذهبون ؟ قال لا أدري) ثم نقل عن العوفي - رحمه الله - في قوله

(١) انظر: توحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني ٢: ٩٥.

(٢) سورة التوبة: ٣٠.

(٣) انظر: الله واحد أم ثالوث، محمد مهدي مرجان: ٧٨ ـ ٨١. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير: ٣٥ـ ٤٧.

(٤) سورة النور: ٤٠.

:"يغشاه موج"الآية: (يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر) وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - في قوله سبحانه "ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ"، أن الكافر في خمس من الظُّلَم: كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار[1].

وفي تشبيه تلك الظلمات المتراكمة بالأمواج في البحر اللجي أي العميق "يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ" إشارة إلى حقيقه علمية هي وجود الأمواج في البحر العميق تحت الأمواج السطحية، لم يعرفها العالم حتى عام١٩٠٠م عند ما اكتشفها بعض البحارة الإسكندنافيين[2].

ومن الأمثال التي تشير إلى إعجاز إخباري يشهد بكون القرآن من عند الله، إذ تخبر عن أمور وردت في الكتب السابقة، فورودها في القرآن الكريم دليل بيِّن على نزوله من عند الله، فكيف لرجل أمي أن يعلم ما ورد في الكتب السابقة في وقت لم تكن توجد لهذه الكتب أصلا ترجمات إلى اللغة العربية بعد ؟! ومن هذه الأمثال قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[3].

(١) تفسير ابن كثير ٣: ٢٩٦ .

(٢) توحيد الخالق ٣: ٥٠ .

(٣) سورة الفتح : ٢٩ .

جاء في سفر إشعياء: (فيرفع راية للأمم ويصفر لهم من أقصى الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً. ليس فيهم رازح ولا عاثر. لا ينعسون ولا ينامون ولا تنحل حزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم. الذين سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة ، حوافر خيلهم تحسب كالصوان وبكراتهم كالزوبعة.لهم زمجرة كاللبؤة ويزمجرون كالشبل)[1].

وجاء في إنجيل متى: (قدَّم لهم مثلا آخر قائلا يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله)[2](وقدم لهم مثلا آخر قائلا يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله. وهي أصغر جميع البزور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتتأوى في أغصانها)[3].

ومن التشبيهات والأمثال المتعلقة بهذا النوع من الإعجاز ما جاء في الحديث "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء ، فيقولوا ألا وضعت ها هنا لبنة فيتم البناء ؟ فأنا اللبنة جئت فختمت الأنبياء"[4].

فلقد جسَّم هذا المثل حال الرسول في ختمه للنبوة ببناء كَمُل وتم بوضع الحجر الأخير فيه ، فلا مزيد بعده.

وقد وردت البشارة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الكتب السابقة بما يدل على هذا المعنى من خلال مثل مطابق لهذا المثل الوارد في الحديث السابق.

---

(١) الكتاب المقدس ، سفر إشعياء ، الأصحاح الخامس ، ٢٦ ـ ٢٩ .

(٢) الكتاب المقدس ، إنجيل متى ، الأصحاح الثالث عشر : ٢٤.

(٣) الكتاب المقدس ، إنجيل متى الأصحاح الثالث عشر ٣١- ٣٢

(٤) رواه مسلم في الفضائل ٤ : ١٧٩٠ ، ١٧٩١ ، والترمذي في الأمثال ٥ : ٥٨٦ ، وأحمد ٢ : ٢٤٤ .

جاء في إنجيل متى: (ما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون، قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره)[1].

وهذه البشارات التي ما تزال في النسخ الحالية للكتب المقدسة رغم ما تعرضت له من تحريف لا تنطبق إلا على محمد - صلى الله عليه وسلم -، وإخبار القرآن بورودها في التوراة والإنجيل دليل واضح على أن القرآن من عند الله سبحانه.

١٠- وقد يأتي المثل والتشبيه يحمل- بالإضافة للمعنى- خفة للفظ على اللسان وسلاسة في الأسماء اجتناباً للثقل وتزاحم الحروف، وذلك كقول الله سبحانه "﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾"[2]

فإن في التعبير بلفظ أرضين ثقلا لذلك استعيض عنه بما هو أسلس وأخف على اللسان مع الدلالة الواضحة على المعنى المراد.

المبحث الرابع: مزايا عرض حقائق وأدلة العقيدة بأسلوب الأمثال على عرضها بالإلقاء المجرد.

للمثل وقع جميل في النفس ليس لمعناه من الكلام المجرد الخالي عن التمثيل، فإن النفوس تأنس بنقلها من الخفي إلى الجلي، ومن الشيء الذي تُعْلِمها إياه إلى ما أحكمت معرفته، ولأن العلم بالمشبه به غُرس بالنفس عن طريق الحواس

---

(١) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح الحادي والعشرون ٤١-٤٣.

(٢) سورة الطلاق : ١٢.

والطباع، ثم من جهة النظر، فهو فيها أحكم، فضرب المثل للمعنى بعد إيراده هو كما قال عبدالقاهر: (كمن يتوسل للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم......وكمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب، ويقول ها هو ذا فابصره تجده على ما وصفت)[1]، ولأن ضرب المثل للمعنى يزيل استغرابه والتوقف في قبوله فهو أشبه بذكر دليل الدعوة بعد إيرادها.

فالمثل بصورة عامة يتفرد بمزايا وخصائص تجعله يتفوق في مسألة تجلية المعنى وفي تقريبه على الإلقاء المجرد للمعاني من جوانب عدة، وتبدو هذه المزايا أوضح وأجمل ما تكون في الأمثال القرآنية والنبوية التى تُبرز المعاني الاعتقادية وتجليها في النفوس وتقربها إلى العقول، بحيث تفوق غيرها من أمثال البشر وتسمو عليها، مع ما عليه الأمثال بصورة عامة من حسن وبهاء، ومن هذه المزايا :

١- الاستعانة بالصور البيانية في عرض المعنى .

تتيح عملية نقل المعاني من خلال ضرب الأمثال تصوير حقائق هذه المعاني وإبرازها بواسطة صورة المثل التى ترتسم في المخيلة لتعرض المعنى بطريقة أشبه بالشريط المرئي، مما لا يتوفر لإلقاء الحقائق بطريقة الإلقاء المجرد والسرد اللفظي فحسب، ويتجلى ذلك في أمثال القرآن والسنة المتعلقة بحقائق العقيدة بصورة واضحة وفريدة، فكأنما تؤدي الأمثال دور الريشة المبدعة حين تصور الألوان والعدسة اللاقطة حين تصور الحركات، فالمعنى في - قول الله تعالى- ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ "[2] يتجاوز تقرير المعنى اللغوي لكلمة "نطوي السماء" إلى إلقاء المعنى أمام السامع بالشكل المصور مُطوِّعاً الألفاظ لتؤدي دور

---

(١) أسرار البلاغة : ١٠٣.

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤.

الصور، فكأن السامع يرى السماء تُطوى كما تُطوى الصحيفة على المكتوب، أو كما يَطوي الرجل الكتاب، وهي صورة تتجاوز إيضاح المعنى إلى تفعيله في النفس. وكذلك الحال في تجلي المعنى في صورة مشاهدة في قول الله – سبحانه ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ "[(١)] فبعد إثارة الانتباه عن طريق الأسئلة التى جاءت في مطلع السورة، أخبر المخاطبين عن حالة الناس يوم القيامة ومبلغ ما يعتريهم من الشدة وذلك عن طريق صور يعرفونها هي الفراش في حالة كونه مبثوثاً، مما يومئ للنفس بما هم عليه من التفرق والانتشار والتخبط والحيرة، وهو ما أشارت إليه آية أخرى في تشبيه مفعم بالصورة والحركة يدل على مايدل عليه هذا التشبيه أيضاً ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ "[(٢)]، كما أخبرت سورة القارعة عن مبلغ ما يلحق الجبال من التغير وذلك عن طريق صورة آخرى يعرفونها، هي صورة الصوف المنفوش الذي شرع في الذهاب والتمزق مما يدل على هشاشته، مع أنها - أي الجبال - رمز القوة والصلابة والثبات. وهي صور تبث في النفس ألواناً شتى من الرهبة والفزع والتقدير والتعظيم ما كانت لتبلغ مداها ومستواها التي يدفعها إليها التمثيل، ولا تقاربها، لو اكتفي فيهما بالمعنى المجرد.

٢- جذب الانتباه وشد المخاطب.

تحقق عملية ضرب المثل انتقالا من أمر إلى أمر آخر، مع أن المقصود بالكلام ما يزال هو الأمر الأول، وإنما يمثل الثاني وسيلة لتسليط الضوء على الأول، وعملية النقل ذاتها فضلا عما فيها من توضيح تشكّل نوعاً من إثارة الانتباه وتحريك

(١) سورة القارعة : ١- ٥.

(٢) سورة القمر : ٧.

الذهن. كما في الحديث "ما من مولود إلا يُولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كالبهيمة تُولد جمعاء هل تحسون بها من جدعاء حتى تجدعونها أنتم؟"[1]. فليس المراد إخبار السامع عن حال البهيمة المذكور من حيث ذاتها، وإنما المقصود تجسيد المعنى الوارد قبله لتوضيحه وتوكيده، ولكن عملية الانتقال في الكلام من الموضوع الأول إلى الموضوع الثاني أشبه بمحطة تنبيه تثير الذهن وتلفت الاهتمام، كما أن ضرب المثل أثناء الكلام يعني نوعاً من المقايسة والمقارنة التى تستدعي التركيز وإعمال العقل، لاستخلاص الشاهد من المثل ولاستنتاج العبرة منه، ونحو ذلك من الأمور التى ترجع إلى التفكر والتذكر والتي أوضحنا قريباً ارتباطها بالأمثال، وكل ذلك مما يشد الذهن ويبعث على التيقظ.

والانتقال المفاجئ أحيانا من صلب الموضوع إلى المثل يمثل أيضاً قرعاً للذهن، حيث تفعل المفاجأة فعلها في ذلك، فالسامع يتوقع استمرار الكلام على نهجه المباشر فإذا به ينتقل الى موضوع آخر، كما في قول الله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ "[2] فالآية تضمنت مثلين لكل من الحق والباطل في ثبات الأول وبقائه واضمحلال الثاني وفنائه[3]. والمثل الأول ينتهي عند قوله سبحانه "فاحتمل السيل زبداً رابياً" أما الثاني فهو قوله

(١) رواه البخاري في الجنائز٣: ٢١٩ ، وفي التفسير٨: ٥١٢ ، وفي القدر ١١ : ٤٩٣ ، ومسلم في القدر ٤ : ٢٤٠٨ .

(٢) سورة الرعد : ١٧.

(٣) انظرتفسيرابن كثير ٢ : ٥٠٨ .

سبحانه "ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله" والمفاجأة في النقلة من المثل الأول إلى المثل الثاني بيِّنة، وفيها إثارة واضحة للانتباه، ومؤدى هذا المثل أن الحق إلى بقاء والباطل إلى زوال، كما أن ما يسبك في النار ليكون حلية كالذهب والفضة أو ليجعل متاعاً كالحديد والنحاس يعلو كل منهما زبد لا يثبت مع الذهب والفضة أو مع الحديد والنحاس، وإنما يضمحل ويذهب وتبقى المادة النافعة.

ومن الأمثال التى تظهر فيها هذه الخاصية - إثارة الانتباه من خلال المقايسة بين الحالتين - بوضوح الأمثال القصصية سواء في القرآن أو في السنة وهي كثيرة ففي قصة - مثلا - أهل ضروان من اليمن، وهي على ما ذكر بعض السلف قصة أصحاب الجنة التى وردت في سورة القلم ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ "[1] فقد ورد عن سعيد بن جبير أنهم أولاد رجل صالح كان صاحب هذه الجنة، وقد جعل

(١) سورة القلم: ١٧ - ٣٣.

ما يفيض عن حاجته وحاجة أولاده وقوت سنتهم من غلتها للفقراء والمساكين، فلما مات قال أولاده إن أبانا كان رجلا أحمق وإلا لما أنفق هذه الأموال على الفقراء وحسَبوا ما يجتمع لهم بحرمان الفقراء فعزموا على منعهم، فعاقبهم الله سبحانه بنقيض قصدهم وأذهب ما بأيديهم من رأس المال والربح والصدقة[1]، فبالإضافة لما في القصة بصورة عامة من ترابط الأحداث وتسلسل الوقائع مما يساعد على جلب الانتباه والتركيز والمتابعة، فإن مجيء القصة على طريقة التشبيه والتمثيل أضفى على الموضوع بعداً جديداً، فالآيات السابقة على القصة تتحدث عن انحطاط أخلاق أعداء رسول الله ودناءة صفاتهم وتفاهة اتهاماتهم له صلى الله عليه وسلم وفساد هذه الاتهامات، ثم انتقلت إلى المثل "إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة......." لتعرض مثلا لهم فيما فعلوه من مقابلة النعمة بالجحود والرد والتكذيب والغرور، وتعرض لهم العاقبة التي تنتظرهم من زوال النعم، فالمشبه الذي هو موضوع السياق أصلا هو ابتلاء الله أهل مكة بالنعم قد عرضته السورة في جملة واحدة "إنا بلوناهم"والمشبه به الذي جيء به لتوضيح حال المشبه هو ابتلاء أهل الجنة قد فصلته السورة من الآية السابعة عشرة إلى الآية الثانية والثلاثين، وحينما نضع المشبه إلى جانب المشبه به في لوحتين متجاورتين، ستبدو الحال عبارة عن تكبير ونشر للصورة على مساحة أوسع، فاللقطة القصيرة الموجزة في لوحة المشبه قد بدت في لوحة المشبه به أمام السامع - الذي تحوله عملية التشبيه إلى ناظر - متسعة وكبيرة تتبين خفاياها وتتضح تفاصيلها وتلحظ غوامضها. فهذا التمثيل يفعل فعل المكبر ليس في توضيح المعاني وحسب وإنما في

(١) انظرتفسيرابن كثير ٤ : ٤٠٧، وانظر: أثر الذنوب: هدم الأمم والشعوب، محمد محمود الصواف: ١٦.

جلب الأنظار إليها أيضاً.

ثم تؤكد الآيات بعد عرض القصة على العبرة المرادة منها"كذلك العذاب " أي عذاب الدنيا، "ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون".

وفي القصة عامل آخر، يظهر في الأمثال التي ترد على شكل قصة، وهو وإن اختلف بين قصة وأخرى، إلا أنه واضح فيها جميعاً، ويفعل فعله في إغراء السامع بمتابعة توالي الأحداث في القصة وشده إليها، وفي الاستمتاع بها أيضاً، وهو سر المفاجأة الذي كُشف للقارىء أو السامع بينما هو يراقب أصحاب القصة وهم يتصرفون جاهلين بهذا السر، لا يرد على خواطرهم حتى يفاجئهم، فإذا هم في حال لا يحسدون عليها من الندم والحسرة والانتباه بعد فوات الأوان. أو يكتم أحياناً سر المفاجأة عن أصحاب القصة وعن السامع أيضاً الذي يتابع القصة في اهتمام حتى يُكشف لأصحاب القصة وللسامع معا[1]كما في قصة صاحب الجنتين.

٣- التشويق ودفع السَّأم والملل.

وهي مزية متممة للمزية السابقة لكنها زائدة عليها وإن كانت ملازمة لها إلى حد كبير، فالنفس تتقبل الأمر وتأنس به حينما تراه إلى جانب نظائره وأشباهه، على حين قد تنفر منه إذا رأته شاذاً لا نظير له. والمثل ينقل الفكرة من الوحدة والتفرد إلى الأشباه والنظائر، فكأنه يُدخِلها بعد أن كانت منفردة إلى موقعها من البنيان، فتبدو وقد انتظمها المجموع، فتزول الغرابة التي بدت عليها.

كما أن ضرب المثل للمعنى هو بمثابة بيان له بأسلوب آخر يركز على ارتباطه بأمثاله، وتوضيحه بأقرانه من المعاني، ويعني البناء على المعنى المعلوم للسامع من

(١) انظر التصوير الفني للقرآن، سيد قطب: ١٨٣ - ١٨٤.

أجل فهم المعنى المجهول، وهذا العرض للمعنى من خلال سياق المشبه به يُلوّن الخطاب ويجَمّله من خلال التصوير الذي يشي به المثل، قال سبحانه ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ "(1). فإن صورة الحبة تُخرج سبع سنابل كلها قد امتلأت واكتنزت بالحب تملأ ذهن المتأمل للآية المتفكر فيها، فتشيع في النفس السرور والمتعة، بل تفيض عليها الإحساس بالبهجة والإنبهار.

وفي قوله – صلى الله عليه وسلم – "ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع؟!"(2)، نجد المثل قد أخرج المعنى الذي يدل على عظمة البون بين فترة وقيمة كل من الدارين في صورة ممتعة مشوقة تستهوي النفس وتجذب الانتباه وتهز الضمير، فضلا عما تُحمِّل الألفاظ الموجزة من المعاني الواسعة، ولا يمكن أن يحظى المعنى بكل هذه المحاسن لو ألقي بالطريقة المباشرة فحسب.

هذا بالإضافة لتنوع هذه الأمثال، ولارتباطها ببيئة المخاطبين، مما يجعل النفوس تأنس بها وتستروح إليها، فقد استخدمت مظاهر الطبيعة في أمثال القرآن و السنة - وجُلُّها كما سبق في موضوعات العقيدة - بصورة واسعة - كما سيأتي - وذلك أدعى لفهم المخاطبين وتقبلهم وشد انتباههم، إذ كلما ارتبط المثل بحياة المخاطبين وحياتهم كان أقرب إلى نفوسهم فأنست به ومالت إليه، بالإضافة لكون المُشبَّه به مُعرِّف، والمُعرِّف ينبغي أن يكون معروفاً لدى المخاطب،

---

(1) سورة البقرة : ٢٦١.

(2) رواه مسلم في الجنة ٤ : ٢١٩٣ ، وابن ماجه في الزهد ٢ :١٣٧٦ ، أحمد ٤ : ٢٢٩ .

وقد اعتبروا من معايير الحسن في التشبيه (الوفاء بالغرض الذي قصد منه، بأن يكون المُشبَّه به أَعْرَف بالوجه إذا قصد بيان حال المُشبَه، وأن يكون مساوياً له إذا قصد بيان مقداره، ومُسلَّم الحكم إذا قصد بيان إمكان وجوده، وأَتَم معنى فيما أريد به زيادة التقرير)[1].

وقد استشكل بعضهم قول الله سبحانه في وصف شجرة الزقوم ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ "[2] لكون المشبه به "رؤوس الشياطين" غير معروف لدى المخاطبين، ولا إشكال فيه، لأن الناس وإن لم يروا رؤوس الشياطين فإنها عندهم جميعا مثالا لنهاية القبح والشناعة، ولما يثير غاية الذعر ومنتهى الفزع في النفوس، وهذا الأمر هو المقصود من التشبيه، فالتمثيل به موصل للمعنى المراد الذي يبعث على الزجر. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: (أرسل إلي الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه سنة ١٨٨هـ، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي، وهو في مجلس له طويل عريض) إلى أن يقول: (ثم دخل رجل في زي الكُتَّاب له هيئة، فأجلسه إلى جانبي، وقال له: أتعرف هذا ؟ قال: هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرَّظه لفعله هذا، وقال لي: إني كنت إليك مشتاقاً، وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟ فقلت: هات ، قال: قال الله عز وجل "طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عُرف مثله، وهذا لم يُعرف؟ فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس:

---

(١) التصوير البياني، د. حفني محمد شرف: ١٦١.

(٢) سورة الصافات : ٦٥.

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونـة زرق كأنياب أغـوال[(١)]

وهـم لم يـروا الغـول قـط ، ولكـنهم كـان أمـر الغـول يهـولهم فأوعـدوا بـه. فاستحسنه السائل) ثـم ذكـر أبـو عبيـدة أن ذلـك مـا بعثـه علـى تـأليف كتابـه"مجاز القرآن"[(٢)].

كما تفعل الأمثال التي ترد على شكل قصة دورها في إشاعة المتعة والتشويق بفعل ما ألمنا به في الخصيصة السابقة من تطلع السامع إلى معرفة العاقبة حيثما هو يجهلها ، أو مراقبتها تفاجأ أصحاب القصة حينما يكون عارفا بها مسبقا .

وعلى أي حال فإنه كلما كان النهج والأسلوب في عرض وتقديم المعاني والحقائق مشوقاً ومبهجاً ومؤثراً كلما عظمت قيمته ورجحت كفته من الناحية التعليمية والتربوية ، فإن تتعلم وتتمتع وتلتذ وتبتهج- حتى لو كان المضمون يبعث فيك أيضاً الخوف والخشية والرهبة والزجر ونحوها من المعاني- فإن ذلك يشكل ضمانة وكافلا للاندفاع لعملية التعلم ومواصلتها باعتبارها أمراً مطلوباً لذاته ، فهو مبهج مشوق يغري الإنسان بالسعي إليه.

٤- إشراك أكثر من حاسة في تلقي المعنى وفهمه .

كلما أمكن إشراك الحواس الأخرى مع حاسة السمع في عملية التعلم وغرس القناعات والمهارات كلما كان ذلك أجدى في تقريب المعاني وتوضيحها ، وأدوم في ثبوتها وبقائها وأنفذ في الإقناع بها وقبولها.

والمثل بما يتضمن من تجسيم المعنى فإنه يضعه في مدى البصر من خلال التخيل والتصور من جهة ، ومن خلال صورة المشبه به والتي هي غالباً صورة محسوسة

---

(١) ديوان امرئ القيس : ٦٢ .

(٢) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ١٩ : ١٥٨- ١٥٩.

مرئية من جهة آخرى فنحن بإزاء حاسة البصر تنضم إلى حاسة السمع، فلا شك في أن المعنى يزداد في وضوحا وثبوتا في الذهن، كما في استخدام الرسول - صلى الله عليه وسلم - لحاسة البصر حينما يخبر عن قرب قيام الساعة فيقول: "بُعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين" وقرن السبابة والوسطى [(١)].

وقد قرر الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى في أمثال أخرى منها ما رواه أحمد عن أبي سعيد – رضي الله عنه - قال صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العصر نهارا، ثم قام فخطبنا فلم يترك شيئا قبل قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء ؟ فقال: "ألا لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه"[(٢)].

ومثل ذلك تقرير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعظمة ثواب كافل اليتيم حينما يقول " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرق بينهما "[(٣)].

ومن ذلك أيضاً ضرب الرسول - صلى الله عليه وسلم - المثل لهوان الدنيا وقلة شأنها بالسخلة الميتة، فقد روى المستورد بن شداد - رضي الله عنه- قال: (كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على السخلة الميتة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم –"أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها؟" قالوا: "ومن هوانها ألقوها يا رسول الله"

---

(١) رواه البخاري في الطلاق ٩ : ٤٣٩ ، ومسلم في الفتن ٤ : ٢٢٦٨ .

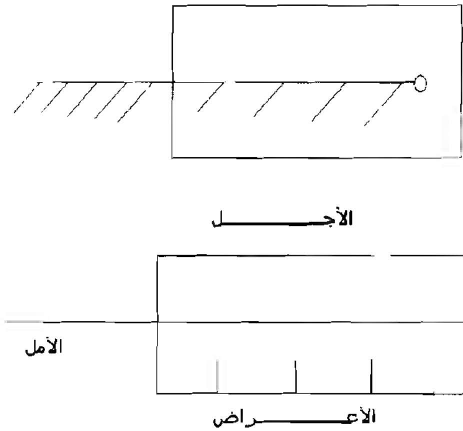
(٢) رواه الترمذي في الفتن٤ :٤٨٤ ، أحمد٣ :١٩ ، ونحوه عند أبي الدنيا كما في عدة الصابرين، ابن القيم: ٢٠٤.وقال الشيخ حمزة الزين في تخريج أحاديث المسند١٠ :٦٣: "إسناده حسن"

(٣) رواه البخاري في الطلاق ٩: ٤٣٩ ،وفي الأدب ١٠ :٤٣٦ ، ومسلم في الزهد٤ : ٢٢٨٧ ، والترمذي في البر٤ :٣٢٠ ، وأبو داود في الأدب ٥ :٣٥٦ ، وأحمد ٢ : ٣٧٥ .

قال: "فوالذي نفس محمد بيده الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها"(١).

فإن في استخدام السخلة الميتة استخدام لوسيلة توضيح تجعل المخاطبين أوسع وأدق إدراكا وأكثر إصابة للمعنى كما تجعل المعنى أبقى وأثبت في النفوس وأكثر أثراً فيها.

ومن تمثيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- للمعنى بالرسم التوضيحي ما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال خطّ النبي - صلى الله عليه وسلم - خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه ، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، فقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به- أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا"(٢).



(١) رواه الترمذي في الزهد ٤ : ٥٦٠ وقال حسن، وابن ماجه في الزهد أيضا ٢ : ١٣٧٦، وأحمد ٤ : ٢٢٩ .وقال الشيخ حمزة الزين ١٤ :٣٦: "إسناده حسن"

(٢) رواه البخاري في الرقاق ١١: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، والترمذي في صفة القيامة٧: ١٦٢ ـ ١٦٣ .وابن ماجه في الزهد٢ :١٤١٤. والشكل الموضح الأول هو ما اختاره ابن حجر من عدة أشكال أوردها في فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١ :٢٣٧ . أما الشكل الثاني فهو ما أورده النووي في رياض الصالحين :٢٧٢ .

وإنما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن يجعل المعنى مشاهداً ليكون أوضح وأبين وأعلق وأثبت في النفوس.

المبحث الخامس: الخصائص المميزة لأمثال القرآن والسنة المبينة للحقائق العقدية:

يتميز هذا النوع من الأمثال بالعديد من الخصائص، ومن أبرزها:

١- أنها من عند الله سبحانه سواء كانت في القرآن أو السنة، لأن السنة وإن كان لفظها من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن معناها من عند الله سبحانه كما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ "[1]، وكثير من موضوعات العقيدة – كما سبق- غيب بالنسبة للإنسان، وسبيل تعريفها له متعين في وصفها وتقريبها إليه من خلال ما يعرف من أمور عالم الحس والشهادة، مع ما بين العالمين من خلاف؛ ومن هنا فإن مجيء الأمثال في القرآن والسنة يجعل لها مزية وخصيصة لا تكون لغيرها، إذ هي مصدر أساسي لتلقي أوصاف هذا العالم، وهي أوسع وأقرب أسلوباً لفهمه، إذ لا يعلم الغيب سواه سبحانه، ومجيء هذه الأمثال في القرآن والسنة يكفل لها من الدقة والتصوير الصحيح للمعنى، ما يتعذر أن يكون في غيرها من الأمثال الصادرة عن إدراك البشر المحدود وخيالهم الذي يتسم بالمبالغة أو القصور، ويقيها ما لا تخلو عنه كل الأمثال المستمدة من مصادر أخرى من النقص والخطأ والوهم ونحوها من صفات البشر، حتى وهي تعرض المعاني المحسوسة، أو تقع ضمن عالم الحس والشهادة، أما ما يخرج عن عام الشهادة فلا سبيل للبشر إلى تصويره وبيانه أصلا إلا فيما جاءهم من

(١) سورة النجم: ٣- ٤.

عند الله سبحانه. كما تكفل هذه المزية للأمثال المذكورة تحقيق الثقة بما فيها والقبول لها، ومن ثم التأثر والتفاعل والتجاوب معها لدى المؤمنين مما لا يكون أيضاً لغيرها من الأمثال.

٢- مخاطبة النفس الإنسانية بكل أبعادها وجوانبها وعمق التأثير فيها، إذ لا يقتصر المثل القرآني كما هو الحال في غيره على خطاب الجانب الفكري والعقلي في النفس الإنسانية وحده، وإن كان يستهدف هذا الجانب بالإقناع، وتبدو أمثاله في هذا المجال براهين واضحة وأدلة بيِّنة تعتمد على عرض حقائق بديهية ومعارف فطرية قاطعة الدلالة إلا أنها تتجاوز ذلك إلى مخاطبة الوجدان وتحريك المشاعر، مما يفعّل الدلالة المعنوية في المثل لتثير في النفس ألوانا من المشاعر والدوافع والأحاسيس النفسية، وتؤدي إلى التحكم في خلجات النفس فتبعث فيها الحماسة أو الخشوع أو الخشية أو العزة أو التواضع أو الحب والتقدير أو الحياء أو الشوق أو الطمأنينة أو الأنس أو الصبر أو غير ذلك من المشاعر الإيجابية، وتقي النفس أضدادها من المشاعر السلبية كاليأس أو الجزع والعجز أو الكبر والبطر أو القلق والهم والكسل والتواكل ونحوها. ذلك بأن الأمثال في القرآن والسنة بصورة عامة وما يتناول المعاني العقدية منها بشكل خاص، تأتي على صورة تكفل نفاذها إلى كل جوانب التأثير في النفس وولوجها من مختلف المسارب بما فيها الذهنية والوجدانية، وبما يلامس القلوب والضمائر، كما يفتح العقول والألباب، فليست المعرفة التي توجدها هذه الأمثال عن عالم الغيب وسواه مما تتعرض له الأمثال المذكورة مجرد معرفة نظرية تسكن العقل وتقنعه، بل هي معرفة مؤثرة وفاعلة في النفس، يترتب عليها آثار ومنافع عظيمة تصبغ النفس وتوجه السلوك وتحقق أفضل النتائج، ولا عجب فهذا منهج الإسلام، فقد كان صلى الله عليه وسلم

يستعيذ بالله من علم لاينفع[1].والنماذج الدالة على ذلك كثيرة كثرة الأمثال الواردة في ميدان العقيدة. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ "[2]. فالآيات تعرض صورة مشاهدة مكررة الوقوع أمام المنكرين للبعث هي الأرض الميتة تدب فيها الحياة، وما البعث إلا حياة بعد موت، شأنه شأن هذا الذي يشاهدون، فهذا احتجاج عقلي يستند إلى حقيقة محسوسة واضحة فدلالته العقلية بيِّنة، ولكنها تثير وراء ذلك ألواناً من الإحساس النفسي بعظمة الله سبحانه وكمال قدرته، وتُشعِر الإنسان بأن عملية البعث واقعة ومتحققة بكل ما يترتب على ذلك من إيقاظ للضمائر ودفع للعمل وشعور بالرقابة، ومن بعث الهمة والخشية من ذلك اليوم والشوق إلى نعيمه.

فإذا ما تأملنا المثل وتدبرنا طريقة عرضه ضاعف ذلك من الشعور بعمق الدلالة ومبلغ التأثير، فالقرآن يطلق على خروج النبات من الأرض إحياء بعد موت ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ كما يطلق على إحياء الموتى بالبعث خروج " كَذَلِكَ الْخُرُوجُ"، وذلك يعني أن الإنسان يشاهد عملية الخروج للنبات من الأرض فلا تسترعي انتباهه- إذ هو مجرد خروج - فإذا بالقرآن يُخبره أن ما يقع في الآخرة ليس هو إلا خروج، فلا معنى لإنكاره، كما أن الإنسان يستعظم وقد ينكر البعث لأنه حياة بعد موت، فإذا بالقرآن ينبهه إلى أن ما يقع أمامه باستمرار من خروج

(١) رويت استعاذة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من "علم لا ينفع" في مسلم في الذكر٤ : ٢٠٨٨ ، وأبو داود في الوتر ١ : ١٢٣ ،والنسائي في الاستعاذة ٣: ٢٥٥ ، وابن ماجه في المقدمة ١ : ٩٢.

(٢) سورة ق : ٩ - ١١.

النبات من الأرض هو إحياء، فلا معنى لإنكار البعث لأنه إحياء إذن، وهكذا يضع القرآن ما ألفه الإنسان واعتاده مكان ما يستغربه وينكره، وما يستغربه وينكره مكان ما يألفه ويعتاده(1). فإذا بهذه الحقيقة تتسلل إلى النفس من كل منافذ المعرفة والتأثير إلى النفس من الحس والعقل والوجدان.

وها هو صلى الله عليه وسلم ينهي إلى القلب تقرير صفة من صفات الله سبحانه، وهي فرح الله بتوبة عبده مع غناه مع هذه التوبة، لكن فرحه بها فوق فرح العبد يجد الحياة بعد أن أيقن بالموت، ويجد الفرج بعد يأسه منه. - قال صلى الله عليه وسلم- : "لَله أفرح بتوبة عبده - حين يتوب إليه- من أحدكم كان على راحلة بأرض فلاة. فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها. فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده. فأخذ بخطامها. ثم قال - من شدة الفرح- اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح"(2) . ففرح هذا العبد براحلته فوق كل فرح - إلا فرح الله بتوبة عبده - لأن حاجته إليها فوق كل حاجة، فهذه حاجة مكروب مُضطر موقن بالهلاك، ليس له أمنية فوق أن يجد الراحلة إذ نجاته في ذلك وحياته متعلقة به، ومنفعته بلقياها فوق كل منفعة ؛ لكن فرح الله بتوبة عبده أعظم من هذا الفرح، لا لاضطراره سبحانه ولا لحاجته ولا لمنفعة تصير إليه، ولكن لكماله وجلاله ورحمته وجوده.

فهذا المثل يصور المعنى أبلغ تصوير ويبينه أتم بيان وأكمله، ثم يفعِّله في داخل النفس، ويكفل له التغلغل في أعماقها، يخالط مشاعرها ويبعث فيها التأثر والحب

---

(1) انظر روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي ٢٥ :٤٥٦.

(2) رواه البخاري في الدعوات١١ : ١٠٢ ومسلم في التوبة ٤ :٢١٠٣-٢١٠٥ .

والتقدير والرغبة والشوق والأنس والأمل والرجاء، فهو يُعلّم ويربي فضلا عن أنه يشوق ويبهج ويسلي.

٣- تركيز الأمثال في القرآن والسنة على العبرة والفائدة المتوخاة، دون اعتداد بالمظهر أو الحجم أو الشكل ونحوها مهما كان ما لم تكن العبرة من المثل متعلقة بشيء من ذلك. فقد ضُرب المثل في القرآن والسنة بالذبابة والبعوضة والعنكبوت والفراشة، ولُفِتَ النظر فيهما إلى آيات الله في كثير من المخلوقات الصغيرة كالحشرات والطيور ونحوها، وقد استشكل المشركون ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الصغيرة التي استقلوا شأنها وحسبوا أنها أقل من أن يضرب الله بها مثلا، وإنما ذلك لجهلهم بما في هذه المخلوقات من وجوه الحكمة والإتقان ودلائل قدرة الخالق وعلمه وكماله سبحانه. والله سبحانه ما خلقها إلا لحكم جليلة، ولا يقلل من هذه الحكم صغر حجمها، بل إن تجلي دلائل القدرة والكمال والألوهية يسترعي الانتباه أكثر كلما بدت معالم الإتقان والدقة والجمال والتعقيد في المخلوقات الضئيلة، ولهذا رد الله على هؤلاء المعترضين وبيّن أنه سبحانه لا يستحيي من الحق، وأن له في أمثاله حكماً وأسراراً، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ "[1]، ومع ارتقاء وتقدم العلم عند البشر تزايد اهتمامهم بهذه المخلوقات الصغيرة وكَثُرت الدراسات حولها، فقد استرعت

(١) سورة البقرة: ٢٦.

خصائصها وأنواعها ووظائفها وما فيها من وجوه الدقة والعظمة كبار الباحثين، وتخلّصوا من نظرة الاستهجان والاستنكار التي كان منبعها الجهل والتخلف[1].

والمثل واحد ولكنه مصدر هداية للبعض، كما أنه مصدر ضلال للبعض الآخر، فالابتلاء به واحد على المؤمن وعلى الكافر، ولكن الآثار والنتائج المترتبة عليه متباينة[2]، فيثمر إيماناً وتضرعاً وخشية حيناً، وبطراً وجزعاً وبعداً عن الله حيناً آخر، وذلك لتلقي المؤمنين للأمثال بقلوب متفتحة تطلب الحكمة والفائدة، أما الكفار فيتلقونها بنفوس تجمع إلى الجهل والقصور الاعتراض والاستنكار والتشكيك.

٤- الدقة في اختيار اللقطة المنتقاة التي تبرز أشد جوانب المثل إثارة.

تبدو مسألة اختيار صورة المشبه به في حالة محددة هي أشبه بمن يستعرض شريطاً مرئياً ويختار أشد لقطات هذا الشريط تأثيراً مما يُرغّب أو يُخوّف أو يُنَبّه أو يُقَرّب أويُبرهِن ونحو ذلك من أغراض المثل، ثم يُلْقي بهذه اللقطة في وجه المشاهد، وقد تتجاوز جوانب التشابه مساحة اللقطة وحدودها ولكن اللقطة المعروضة تُمثل بؤرة الالتقاء بين المشبه والمشبه به، وأولى جوانب التماثل بالعرض. وتتجلى هذه الحقيقة في أمثال القرآن والسنة بدرجة كبيرة كتمثيل المنسلخ من آيات الله المتبع للشيطان فيما هو عليه من الانحطاط ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ "[3] وكتمثيل حال اليهود في عدم انتفاعهم بما جاءهم من التوراه

(١) انظر: الأمثال القرآنية، عبدالرحمن حبنكة: ٢٤.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١: ٥١.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٦.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ "[1]. ومن ذلك قوله سبحانه ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ "[2] فقد روى البخاري أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - : " فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟" وذكر الآية السابقة. قالوا: "الله أعلم" فغضب عمر فقال: "قولوا نعلم أو لا نعلم"، فقال ابن عباس: "في نفسي شيء منها يا أمير المؤمنين"، فقال عمر: "يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك" فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "ضربه مثلا لعمل"، قال عمر: "أي عمل؟" قال ابن عباس: "لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله"[3]. فهو مثل لمن أبطل حسناته بسيئاته، فاختار حالة الرجل غني بجنته التي فيها من كل الثمرات، وحيثما هو أحوج ما يكون إليها، إذ هو في آخر عمره وضعف ذريته، إذ بجنته تصاب بإعصار فيه نار أحرق ثمرها وأباد شجرها، ولم يكن له قوة ليغرس مثلها، وذريته ضعاف لا قدرة لهم وهم أحوج ما يكونون، مما يصوِّر سوء المأزق وفداحة الضرر لدى من تغرق سيئاته حسناته. والواجب على الإنسان أن يجتنب اتباع السيئات للحسنات بصورة عامة، حتى وإن لم تبلغ إبطال الحسنات بالكلية، ولكن القرآن

(١) سورة الجمعة : ٥.

(٢) سورة البقرة : ٢٦٦.

(٣) رواه البخاري في التفسير ٨ : ٢٠١-٢٠٢.

يأتي باللقطة المؤثرة قد اختيرت لتصور أولى حالات الشخص الذي تبطل سيئاته حسناته بالاجتناب والتحرز وأشدها ضرراً وألماً.

٥- إيجاز يعمل عمل الإطناب .

تتميز أمثال القرآن والسنة بالاقتصاد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى، فلا تنقص جانباً منه، سواء أكان أصليا أم حلية مكملة له، فلا تجد في الأمثال أو غيرها من كلام البشر ما هو أملأ بالمعنى من أمثال القرآن إذا ساواها في مقدار اللفظ أو قاربها ولا تستطيع أن تُسقِط كلمة أو تبدِّلها إلا جُرْت على المعنى أو شوهته أو أنقصت ما فيه من الجمال والبهاء والعذوبة. ففي قول الله سبحانه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ "[١] مثَّل الغيبة بأكل لحم الإنسان الذي اغتيب، لأن في الغيبة تمزيقاً لعرضه كما في الأكل تمزيق للحمه، ثم جعل هذه الأكل للحم المغتاب هو أكل للحم الأخ، لما فيه من إبراز بشاعة الفعل، ولكونه أدعى لاستكراه الغيبة، ثم جعل الشخص المأكول لحمه ميتاً، لأن المُغْتَابَ لا يشعر ولا يحس بالغيبة[٢]، وفي هذا القيد "ميتا" إشعار بعدم جواز ذم الإنسان أو تجريحه في وجهه، إذ هو بمثابة أكل لحمه حيّا، وهو أشد إيلاما[٣]، إلى غير ذلك من المعاني الغزيرة التي يتضمنها هذا المثل على وجازته.

وفي حديث أم زرع في ذم المرأة لزوجها وصفته بقولها "زوجي لحم جمل غَث على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فيُنْتَقَل"[٤]فوصفته بأنه "لحم جمل"

(١) سورة الحجرات : ١٢.

(٢) انظر: التصوير البياني : ٣٢٨.

(٣) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي ٢ :٨.

(٤) رواه البخاري في النكاح ٩ :٢٥٤، ومسلم في فضائل الصحابة ٤ : ١٨٩٦ .

تقليلا من شأنه، إذ لحم الجمل دون لحم الغنم، ثم أضافت بأنه "غث" أي هزيل مستكره، ثم أخبرت أن ما عنده من قليل مستكره يحتاج نواله إلى ما لا يقدر عليه من الجهد، فهو على رأس جبل، تشير بذلك إلى كثرة ضجره وشدة غلظته، ثم أخبرت بأنه ميؤوس من نواله، بإخبارها أنه كالذي على جبل وعر فلا مكانه سهل فيرتقى ولا اللحم سمين يستحق التعب والجهد. فتضمن المثل معان كثيرة لا يمكن تضمينها في كلام يوازي في المقدار لفظ المثل.

٦- شمولها لكل مظاهر الطبيعة وجوانبها.

إن أمثال القرآن والسنة وهي تتحدث عن معانى العقيدة توضيحاً أو استدلالا تشمل كل مظاهر الطبيعة وعناصرها، وهذا ما كفل استمرار وخلود تأثير وفاعلية هذه الأمثال باستمرار وجود الطبيعة المحيطة بالإنسان يحسها ويدركها دائماً، وذلك بخلاف الأمثال المبنية على المنطق العقلي وحده،[1] أو على ظروف وبيئات خاصة.

فالأمثال في القرآن والسنة حافلة بالتشبيه بمظاهر الطبيعة، ومن ذلك التمثيل بالغيث والصَّيِّب والماء والبحار والأمواج، والجبال والشمس والقمر وبالحجارة والخشب والعهن المنفوش، وبالياقوت والمرجان، وبالزرع والسنابل والحبة والشجرة والنخلة وأعجاز النخل والعرجون والأترجة والثمرة والعصف المأكول، وبالتراب والصفوان والرماد والهشيم، وبالطيور والدواب والسخلة الميتة، وبالحيوانات مثل: الحمار والكلب، وبالأنعام وبالحشرات مثل: البعوضة والذبابة والعنكبوت والجراد، وبالعبد والحر، وبالأعمى والأصم، وبالسميع والبصير، وبالراكب المستظل تحت شجرة وبركاب السفينة، وبالمشكاة والمصباح والزجاجة،

(١) انظر: التصوير البياني: ١٦٧.

وبخلق السموات والأرض، وبتعذيب الأمم السابقة التى شاهد المشركون آثارها وبقاياها الدالة على تعذيبها وإهلاكها مثل قوم نوح وقوم شعيب وعاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم، ونحو ذلك من الأمثال التى استمدت من مظاهر الطبيعة والبيئة المحيطة بالمخاطبين.

وهذا العموم في تناول أجزاء البيئة والطبيعة مما تنفرد به أمثال وتشبيهات القرآن والسنة، وهو يسهم في صلاحيتها للناس جميعاً على اختلاف بيئاتهم وأزمانهم ومستوياتهم العلمية والثقافية والاجتماعية.

كما أن تناول أجزاء الطبيعة وعناصرها في هذه الأمثال يخرج عن أفق الإنسان وعلمه وإحاطته بهذه الطبيعة، فيعرض من مظاهرها وحقائقها وأسرارها ما لا يعلمه حق العلم إلا الله، ويعرض جوانب منها لم يكن البشر يعرفونها إلى ما بعد نزول القرآن بقرون عديدة، مما يبرهن على أن هذه الأمثال من عند الله سبحانه وتعالى[1].

* * *

(١) راجع ص ١٢٧ - ١٢٩ من هذا البحث.

الخاتمة:

يمكن إجمال أبرز نتائج البحث فيما يأتي:

١- يعتبر أسلوب عرض الحقائق والطريقة التي يتم بها تقديمها للمخاطبين - سواء أكان ذلك على سبيل التعليم والتثقيف والتدريس أو الدعوة والإرشاد والتوعية، أو غير ذلك- أمراً بالغ الأهمية متمماً لما تتصف به هذه الحقائق من الجمال والسمو والعمق والعظمة؛ فإن المعاني مهما كانت قوتها ورصانتها إذا عرضت بالأسلوب الركيك أو المعقد تفقد تأثيرها وجاذبيتها في النفوس، ويتوارى بريقها ويحجب جمالها، ويعسر فهمها؛ وإنما يتم تأثير الأفكار والمعاني وتبرز قوتها، ويسرع إلى الأفهام معناها، وإلى القلوب وصولها، بقدر ما يتوفر لها من الأصالة والعمق والموضوعية من جهة، وبحسب ما يتأتى لها من الأسلوب القادر على الكشف عن مكنونها الدال على محاسنها من أسهل طريق وأيسره من جهة أخرى.

٢- يحتل أسلوب ضرب الأمثال في التعليم وغيرها من وسائل التثقيف بصورة عامة أهمية كبيرة، لما فيه من تقريب وتسهيل للمعاني البعيدة أو الغامضة عن طريق عرض أمثالها وما يشبهها من المعاني المحسوسة والواضحة.

٣- توظيف القرآن والسنة للأمثال بطريقة هي غاية في البراعة من أجل إيقاف المؤمن على معاني حقائق عالم الغيب ونحوها من حقائق العقيدة، وتوعية المؤمن بها وتقريبها إلى ذهنه؛ حيث إن عالم الغيب يخرج عن حدود التفكير البشري ووسائله في المعرفة. وطريق العلم بحقائقه هو التلقي من الوحي المستمد من علم الله سبحانه، بينما المشبه به في الأمثال هوالمحسوسات أو البدهيات التي تقع ضمن نطاق حواس البشر وإدراكهم؛ فتمثل بهذا عملية ضرب الأمثال جسراً

يُوصِل إلى التعرف على الحقائق الغيبية أو غيرها من الحقائق العقلية استناداً إلى المعرفة الواقعة ضمن نطاق الحواس أو الفطرة الإنسانية.

٤- يتفوق أسلوب ضرب الأمثال في تحقيق أهداف التعليم والتربية وغاياتهما بوجه عام، وفيما يتعلق بالجوانب الاعتقادية بوجه خاص، على أسلوب إلقاء الحقائق بالطريقة المجردة ونحوه من الأساليب الفلسفية والمنطقية، والتي كثيراً ما يشوبها التعقيد والغموض. كما تتفوق أمثال القرآن والسنة على غيرها من الأمثال في تحقيق تلك الأهداف، وذلك من وجوه كثيرة منها:

أ - إشراك أكثر من حاسة من الحواس الإنسانية في تلقي المعنى، وتوظيف قدرة العقل الإنساني على التخيل والتصور في تجلية الحقائق وتقريبها وفهمها.

ب - إنه يجعل الحقائق أعلق في النفوس وأثبت في العقول، ويسهل استدامتها وبقاءها في الذاكرة فترة أطول.

ج - إنها تساعد في جعل التعلم مشوقاً وممتعاً، وتسهم في دفع الملل عن نفس المتعلم، وفي تخليص عملية التعليم من الجفاف والتعقيد.

د - إنها تثير في النفس التفكر والتدبر والنظر والتذكر ونحوها من المعاني العقلية والنفسية، وتوسع أفق المتعلم.

هـ- إنها تجعل الحقائق أكثر تأثيراً في النفس، وتوسع مجال فاعليتها لتشمل مع العقل الوجدان والمشاعر وسائر مكامن التأثير في النفس الإنسانية.

٥- تتفرد الأمثال في القرآن والسنة وبالأخص ما يتعلق منها بالمعاني الاعتقادية وبما يمازجها من المعاني التربوية والأخلاقية بجملة من الخصائص التي تدل على كمالها وسموها وتفوقها على غيرها من الأمثال- بالإضافة لما أشرنا له

قريباً من تفوقها على غيرها من الأمثال فيما امتازت به الأمثال على غيرها من الكلام - ومن ذلك:

أ- مخاطبة النفس الإنسانية بكل أبعادها وجوانبها.

ب- تركيزها على العبرة والفائدة المتوخاة دون الاعتداد بالمظهر أوالشكل أو الحجم، ما لم تكن العبرة من المثل متعلقة بشيء منها.

ج- الدقة في اختيار اللقطة المنتقاة التي تبرز أشد جوانب المثل إثارة.

د- استخدامها وشمولها لمختلف مظاهر الطبيعة، مما هو من أسرار خلودها؛ حيث إن مظاهر الطبيعة ثابتة على اختلاف الأجيال والبقاع.

هـ- السهولة والقرب والبعد عن التعقيد والصعوبة، مما أضفى عليها الصلاحية لمخاطبة مختلف المستويات العلمية والاجتماعية.

٦- التوصية بالحرص على استخدام أسلوب ضرب الأمثال في التعليم وفي الدعوة، وفي كل وسائل التربية والتثقيف والإعلام بصورة عامة، لما لهذا الأسلوب من مزايا كالقدرة على التوضيح والتأثير وعرض الحقائق والاحتجاج لها، وذلك مع ما فيها من الإيجاز الذي يفعل فعل الإطناب؛ فإن ما يحمله المثل من المعاني يفوق بكثير قدرة ما يعادله في الحجم من الكلام المجرد.

٧- التوصية بالتعمق في دراسة أمثال القرآن والسنة وأسلوبهما، من أجل الوصول إلى ما فيهما من مناجم السبل النافعة في التعليم والتربية، وبلورتها في منهج واضح يساعد على الانتفاع بها. ففي جمع أمثال القرآن والسنة التي تتعلق بموضوع من موضوعات عالم الغيب أو نحوها من موضوعات العقيدة في صعيد واحد، وتحليلها ما يجلي الموضوع ويعرضه بصورة واضحة.

٨-　إن أمثال القرآن والسنة تعتبر مدرسة جديرة بالاستلهام في منهج ضرب الأمثال بما يُطوِّع المعاني البعيدة أو الغامضة، أو يدلل على المعاني المستغربة. وليس المراد هنا دراسة أفراد هذه الأمثال فحسب، وإنما الاستفادة من نهجها وطريقتها وأسلوبها في ابتكار الأمثال المحققة للأغراض التعليمية والمذللة لصعوبات التعليم، وذلك بانتقاء الأمثال التي تتناسب مع المواضيع المختلفة، وبما يتماشى مع مستوى المخاطبين، ومما يتجلى في بيئاتهم ليكون أقرب إلى نفوسهم.

على أنه ينبغي أن يقتصر على الأمثال المضروبة في القرآن والسنة حينما يتعلق الأمر ببيان عالم الغيب، وذلك لتعذر اختراع أمثال أخرى تصف عالم الغيب استناداً إلى علم البشر ومعرفتهم. بيد أن في الأمثال المذكورة من الدرر والعجائب ما يترك مجالا لكل الراسخين من العلماء والباحثين، ولكل اللماحين والغائصين على المعاني الدقيقة، ويتسع لكل أصحاب الهمم والعزائم؛ فعجائب القرآن لا تنقضي.

والله من وراء القصد.

* * *

المصادر والمراجع:

١- **القرآن الكريم.**

٢- **أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب**، محمد محمود الصواف، دار الإعتصام، غ.م.

٣- **أسرار البلاغة في علم البيان**، الإمام عبدالقاهر الجرجاني، صححه الإمام محمد عبده، وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، غ.م.

٤- **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم، راجعه وقدم له طه عبدالرؤوف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٥- **الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام**، تحقيق د.عبدالمجيد قطامش، نشرمركزالبحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٠هـ

٦- **الأمثال في القرآن الكريم**، ابن القيم، تحقيق سعيد محمد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠م.

٧- **الأمثال القرآنية**، عبدالرحمن حبنكة، دار القلم، بيروت، ط١، عام ١٤٠٠هـ.

٨- **الله واحد أم ثالوث**، محمد مهدي مرجان، دار النهضة العربية، القاهرة، غ.م.

٩- **بيان إعجاز القرآن**، أبو سليمان الخطابي، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق محمد خلف الله و د.محمد زغلول سلام، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١٠- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الزبيدي.

١١- **التربية بضرب الأمثال**، عبدالرحمن نحلاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٢- **التصوير البياني**، حفني محمد شرف، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

١٣- **التصوير الفني في القرآن الكريم**، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٨، ١٤٠٣هـ.

١٤- **تفسير القرآن العظيم**، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٥- **التوحيد**، عبد المجيد الزنداني، دار المجتمع للنشر، جدة، ط٣، عام ١٤٠٨هـ.

١٦- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ابن جرير الطبري، بتحقيق د.عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

١٧- **الجمان في تشبيهات القرآن**، ابن ناقيا البغدادي، قدم له ونشره د.مصطفى الجويني، مطبعة الجيزة، الإسكندرية، غ.م.

١٨- **درء تعارض العقل والنقل**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د.محمد رشاد سالم، ط١، عام ١٤٠١هـ.

١٩- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، الإمام عبدالقاهرالجرجاني، علق عليه محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، عام ١٤١٨هـ.

٢٠- **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، الألوسي، تحقيق محمد الأمد وعمر السلامي، دار إحياء التراث العربي.

٢١- **رياض الصالحين** للإمام النووي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق، دار المأمون، دمشق، ط٣، عام ١٤٠٠هـ.

٢٢- **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، الحافظ بن حجر الهيثمي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، غ.م.

٢٣- **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، عام ١٤١٩هـ.

٢٤- **سنن أبي داود**، إعداد وتعليق عزت عبيد دعاس، دار الحديث، حمص، ط١، عام ١٣٨٩هـ.

٢٥- **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٦- **سنن الترمذي**، وهو الجامع الصحيح، مراجعة عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ط٢، عام ١٣٩٤هـ.

٢٧- **سنن النسائي**، بشرح جلال الدين السيوطي، دار الجيل، بيروت، غ.م.

٢٨- **السيرة النبوية**، المطبوعة مع الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٩- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عطار، دارالكتاب العربي مصر.

٣٠- **صحيح الإمام البخاري**، المطبوع مع فتح الباري، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٣١- **صحيح الإمام مسلم بن الحجاج**، تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٥هـ.

٣٢- **ضرب الأمثال في القرآن: أهدافه التربوية وآثاره**، عبدالمجيد البيانوني، دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت، ١٤١١هـ

٣٣- **ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب**، مصطفى الصياصنة، دار المعارج الدولية للنشر، الرياض ط١ عام١٤١٢هـ.

٣٤- **عالم الغيب والشهادة**، د.عثمان ضميرية، توزيع مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٥- **عدة الصابرين**، ابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣٦- **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، محمد طاهر التنير، نشره وعلق عليه محمد إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط١، عام ١٤٠٨هـ.

٣٧- **غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات**، علي بن ظاهر الأزدي، تحقيق د.محمد زغلول سلام ومصطفى الجويني؛ دار المعارف، مصر ١٩٧١م.

٣٨- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٥، عام ١٣٩٧.

٣٩- **الكتاب المقدس آي كتب العهد القديم والجديد**، دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

٤٠- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادرللطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ.

٤١- **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٦عام١٤٠٦ هـ.

٤٢- **مجمع الأمثال**، الميداني، دار الحياة، بيروت، ط٢ غ.م.

٤٣- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الحافظ نور الدين الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، دار الكتاب، بيروت ط٢ عام ١٩٦٧م.

٤٤- **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم، تحقيق محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥ هـ

٤٥- **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري، مكتبة ومطابع النهضة الحديثة، الرياض.

٤٦- **مسند الإمام أحمد**، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٢ عام١٣٩٨ هـ وطبعة دار الحديث، القاهرة، شرحه ووضع فهارسه أحمد شاكر، وأكمله حمزة الزين.

٤٧- **معجم الأدباء**، ياقوت الحلبي، دارالفكر، ط٣ عام ١٤٠٠هـ.

٤٨- **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية إسماعيليان، إيران غ.م.

٤٩- **المعجم الوسيط**، نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة، قام بإخراجه وأشرف على طبعه مجموعة من الباحثين، ط٢عام ١٣٩٢ هـ.

٥٠- **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، المكتبة المرتضوية، طهران، غ.م. وطبعة البابي الحلبي، مصر١٣٨١ هـ.

٥١- **النكت في إعجاز القرآن**، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد سلام زغلول، ط٢ عام ١٣٨٧هـ.

* * *